مجلة إسلامية دعوية تعليمية تربوية

نفحات المدينة

العدد السابع عشر
رمضان | شوال | ذو القعدة 1446ھ

أبرز محتوياتها:

- حُجيَّةُ السُّنة المطهّرة (الوحيُ غير المتْلُو)
- الطب النبوي والتداوي بالأعشاب
- فضائل الصيام وفوائده وأحكامه
- الدخيل في التفسير (الجزء الثاني والأخير)
- جواب مختصر عن الخلوة وسند الطريقة وأمر الذكر عند أهل التصوف

https://www.arabicdawateislami.net/

مجلة
نفحات المدينة
مجلة إسلامية تعليمية تربوية
العدد السابع عشر
رمضان | شوال | ذو القعدة 1446ھ
يصدرها
مركز الدعوة الإسلامية
تحت رعاية
فضيلة الشيخ
محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى

المحتويات

افتتاحية	أهمية أداء المسؤوليّة وخطورة إهمالها	2
من أنوار الوحي	فضل وفوائد قيام الليل	4
من مشكاة النبوة	الحث على كسب المال الحلال	6
أصول العقائد والدين	حُجيّةُ السُنة المطهّرة (الوحيُ غير المتْلو)	8
التربية الروحية	جواب مختصر عن الخلوة وسند الطريقة وأمر الذكر عند أهل التصوف	11
واحة الصحة	الطب النبوي والتداوي بالأعشاب	14
المذاكرة المدنية	أسئلة وأجوبة فضيلة الشيخ العارف بالله محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى	17
جهود علماء الهند	الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله وخدماته في الفقه الحنفي	18
	الدخيل في التفسير (الجزء الثاني والأخير)	21
أركان الإسلام	فضائل الصيام وفوائده وأحكامه	24
واحة المرأة المسلمة	اليوم العالمي للمرأة	28
نشاطات المركز	مركز البحوث والدراسات الإسلامية (المدينة العلمية)	30
مقالات تنويرية	ما هي الإنسانية؟	34
	حقوق الجار في الإسلام	36
نجوم الهدى	التاجر الناجح والمجاهد الباذل	38

المدير العام
• مهروز علي العطاري المدني
المدير التنفيذي
• عبد الله المدني
المشرف
• أبو سفيان محمد راشد المدني
المفتش الشرعي
• المفتي جميل أحمد النوري العطاري المدني
التدقيق والتصحيح
• طارق المحمد • محمد حسان رضا المدني
الإخراج
• إدارة الشؤون العربية
التابعة لمركز الدعوة الإسلامية
التزيين والتصميم
• محمد نديم الأنصاري المدني

للاشتراك السنوي بمجلة
نفحات المدينة
العدد الواحد 12 دولارًا 500 روبية باكستانية
لحجز السنوي مع الخصم 45 دولاراً 2,000 روبية باكستانية
(شاملًا رسوم التوصيل)
احجز الآن واستفد من العرض المميز!
للحجز تواصل معنا عبر .....
+92 311 7301781
+92 313 1139278

https://www.arabicdawateislami.net/

افتتاحية

أهمية أداء المسؤوليّة وخطورة إهمالها

الشيخ محمد عمران العطاري
رئيس مجلس الشورى لمركز الدعوة الإسلامية

يعتبر سيّدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أوّل مجدّد في الإسلام، وهو من الخلفاء الراشدين، بويع رحمه الله على الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر، ملأ فيها الأرضَ عدلًا وردّ المظالمَ وسنّ السنن الحسنة [1].

هناك فرقٌ شاسعٌ بين مَن يسعى للحصول على الحكم والرئاسة، ومَن يُعطى له دون أنْ يطلب، كما يتّضح من قول رسول الله ﷺ حيث قال:

«لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا» [2] (أي: فما أُعِنتَ عَلَيْهَا).

البكاء عند تفويض المسؤولية: روي عن الشيخ حماد أنّ سيّدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله لمّا استُخلف بكى فقال: يا أبا فلان! أتخشى عليّ؟

قال: كيف حبّك للدرهم؟

قال: لا أحبّه.

قال: لا تخفْ فإنّ الله سيعينك[3].

نلاحظ أن حال الخليفةِ عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعد أنْ تولّى الخلافة دون طلب شعر بالهمّ والقلق مِن عواقب المسؤوليّة أكثر مِن الفرح بالمنصب، أما نحن فنركض وراء المناصب والوظائف، وعندما نحصل على ما نريد نشعر بفرحةٍ لا تُوصف كأنّنا نطير في السّماء، وإذا لم تُثمر محاولاتنا كما نتوقع، يصبح مزاجنا متعكرًا، وليس هذا فحسب بل ينشأ الحسد والعداوة في قلوبنا، ونبدأ في النميمة والغيبة، والتهم، والطعن في الأعراض (والعياذ بالله).

إضافة لذلك نقول: ما أجمل تلك النصيحة التي وجّهها إليه صاحبُه تسليةً له، حيث قال: "إذا لم يكن في قلبك رغبة في المال ستنال العافيةَ والسلامةَ بإذن الله تعالى"، وذلك لأنّ حبّ المال يجلب العديدَ مِن المصائب والمشاكل، كما أخبر خاتم النبيين ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» [4].

فضل من يقوم من الحكّام بأداء المسؤولية ويعمل على تحقيق العدل

كان سيّدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله حاكمًا عادلًا يلتزم ويقوم بأداء مسؤوليته تجاه الأمّة المسلمة، والإمام العادل يكون يوم القيامة تحت ظلّ العرش كما ورد في الحديث الشريف: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ....[5].

قال رسول الله ﷺ: «يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَدْلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً»[6].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ»[7].

https://www.arabicdawateislami.net/

خطورة الحُكّام والأمراء الذين لا يقومون بأداء مسؤولياتهم

خطورة وعاقبة الحُكّام والأمراء الذين لا يقومون بأداء مسؤولياتهم تجاه رعاياهم والأمة المسلمة: قال رسول الله ﷺ:

1. «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلّا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[8].

2. «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ إِلّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»[9].

3. «أَيُّمَا وَالٍ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَنْصَحْ لَهُمْ وَلَمْ يَجْهَدْ لَهُمْ لِنُصْحِهِ وَجَهْدِهِ لِنَفْسِهِ كَبَّهُ اللّهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النّارِ»[10].

4. «مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا تَجَاوَزَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ فَهَوَى فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[11].

5. «مَنْ وَلِيَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ النّاسِ، ثُمّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ وَالْمَظْلُومِ أَوْ ذِي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا»[12].

6. «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَرَفَقَ اللّهُ بِهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَشَقّ عَلَيْهِمْ فَعَلَيْهِ بَهْلَةُ اللّهِ».
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا بَهْلَةُ اللّهِ؟
قَالَ: «لَعْنَةُ اللّهِ»[13].

أيها المحبون لرسول الله! لقد انضممتُ إلى مركز الدعوة الإسلامية في عام 1991، وقرأتُ سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لأول مرة عام 1994 أو 1995م. ومنذ ذلك الحين دخلت محبته واحترامه إلى قلبي والحمد لله على ذلك؛ وذلك لأن كان ذا شخصيته فذة ومتميزة. ومن أراد أن يتعرف على شخص جامع للسيرة النبوية، ولسيرة الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فعليه أن ينظر إلى حياة سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فحياته حافلة بالعلم والفضل، والزهد، والتقوى، والورع، ومحبة أهل العلم، ومصاحبتهم، ومشاورتهم...، وباختصار؛ إنّ المملكةَ التي تقوم على أساس التقوى والخوفِ من اللهِ، والالتزام بالشريعةِ، تكون سبباً لترسيخ الأمنَ والاقتصادَ ضمن فترةٍ قصيرةٍ، وهما عنصران أساسيان لأيّ دولةٍ أو سلطةٍ.

ولذلك هنا أوجّه رسالتي هذه إلى أحباب الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل عام، وإلى ولاة الأمة، والمسؤولين، وطائفة الحكام بشكل خاص، فأقول لهم: اتقوا الله في مسؤولياتكم، وكونوا دائمًا متذكّرين لآخرتكم وموتكم، وقبوركم، وأهوال يوم القيامة، ولا تنسوا مطالعة سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بنية الاقتداء به، ولسوف تجدون التغيير الإيجابي في حياتكم بمشيئة الله تعالى، وستجدون أنفسكم مستعدين للقيام بمسؤولياتكم على أكمل وجه إن شاء الله.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأداء واجباتنا على أكمل وجه، آمين بجاه خاتم النبيّين صلى الله عليه وسلم.

---

(1) (تاريخ الخلفاء: صـ 184-185).
(2) (صحيح البخاري: 311/4، (6722)).
(3) (تاريخ الخلفاء: صـ 185).
(4) (سنن الترمذي: 166/4، (2383)).
(5) (صحيح البخاري: 480/1، (1423)).
(6) (المعجم الأوسط: 334/3، (4765)).
(7) (صحيح مسلم: صـ 783، (4721)).
(8) (صحيح مسلم: صـ 78، (363)).
(9) (صحيح مسلم: صـ 78، (366)).
(10) (المعجم الصغير: 167/1).
(11) (المعجم الكبير: 39/2، (1219)).
(12) (مسند أحمد بن حنبل: 315/5، (15651)).
(13) (مستخرج أبي عوانة: 380/4، (7023)).

https://www.arabicdawateislami.net/

الشيخ المفتي محمد قاسم العطاري
المفتي العام بمركز الدعوة الإسلامية ورئيس دار إفتاء أهل السنة

فضل وفوائد

قيام الليل

قال الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

التفسير: هَذِهِ الآيات الكَرِيمَة دالّة بوضوح على أن عباد الله الصالحين يقومون بالأعمال الصالحة وهم في حالة الإقبال على الله بالعبادة مستمتعين بلذة العبودية، تعتريهم شدة الخوف من ربهم، فلياليهم تمضي بالقيام والسجود ويلهجون بالدعاء والمناجاة أن يقيهم العذاب والجحيم، راجين منه المغفرة والصفح.

فوائد قيام الليل ومنافعه أكثر من قيام النهار، وبعضٌ منها على النحو التالي:

الفائدة الأولى:

العبادة في لحظات الليل الهادئ أكثر مواطأة للقلب مع اللسان بحيث يتوجه القلب تمامًا إلى ما يقرأه اللسان.

الفائدة الثانية:

تؤثر التلاوة في الليل تأثيرًا مباشرًا على القلب وتنيره إذ يحصل في هذا الوقت حالة خاصة من السَكينة والطمأنينة.

الفائدة الثالثة:

العمل الصالح في ساعات الليل أتم إخلاصًا وأصون عن الرياء؛ إذ لا يراه أحد في آخر الليل غالبًا.

الفائدة الرابعة:

عبادة الليل لها لذة لا توجد في أي عمل صالح؛ لأن العبد يكون حينها خاليًا بربه، فيجد شرفَ المناجاة معه، وليسأل من ذاق هذه الحلاوة من المتعبّدين في خلوات الليل فهم الذين صفت قلوبهم من الأكدار ويشتاقون لرؤية محبوبهم حتى في هذه الدار.

كما قال سيّدنا عَلِيُّ بْنُ بَكّار رحمه الله: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَحْزَنَنِي شَيْءٌ سِوَى طُلُوعِ الفَجْرِ.

وقال سيّدنا الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاض رحمه الله: إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَرِحْتُ بِالظَّلَامِ لِخَلْوَتِي بِرَبِّي، وَإِذَا طَلَعَتْ حَزِنْتُ لِدُخُولِ النَّاسِ عَلَيَّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَذَّةُ الْمُنَاجَاةِ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْجَنَّةِ أَظْهَرَهَا اللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، لَا يَجِدُهَا سِوَاهُم[2].

وقال بعض العلماء: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَقْتٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَا يَجِدُهُ أَهْلُ التَّمَلُّقِ فِي قُلُوبِهِم بِاللَّيْلِ مِنْ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ.

وَقَالَ سيّدنا أبو سليمان رحمه الله: لَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ البَقَاءَ فِي الدنيا.

https://www.arabicdawateislami.net/

فضل إحياء الليل بالعبادة

ولقد وصف القرآنُ الكريم فضيلةَ إحياء الليل بأسلوب حسن وجميل، فقال اللهُ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3].

وفي مقام آخر: بَشّرهم بالجنة: أي بشّر "المتعبدين بالليل والمستغفرين بالأسحار" هكذا:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[4].

قيام الليل من عادات السلف

- قيام اللّيل هو دأب سلفنا الصالح، حيث قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ»[5].
- وقال ﷺ: «صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[6].
- وقال أيضًا: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا».

فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[7].

- وقال النبيُّ الكريمُ ﷺ في حديث آخر: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»[8].

اجتهاد السلف في العبادة

- وكان الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان وسلفنا من الصالحين يقضون لياليهم في العبادة، وكتب التراجم مليئة بأخبارهم الجميلة في قيام الليل والتهجّد بالأسحار.
- فهذه السيّدة حفصة بنت سيرين رحمها الله كانتْ من عابدات أهل البصرة، وكانتْ تقرأ كلّ ليلةٍ نصفَ القرآن تقوم به فى الصلاة، وكانت تقوم فى مصلّاها باللّيل فربما طفئ المصباح فيضيئ لها البيت حتّى تصبح.
- وكانت السيّدة رابعة العدويّة رحمها الله تصلّى اللّيل كلّه، فاذا قرب الفجر نامتْ نومةً خفيفةً ثمّ تقوم وتقول: يا نفس! كم تنامين وكم تقومين؟! يوشك أنْ تنامى نومةً لا تقومين منها إلّا صبيحة يوم النشور، فكان هذا دأبها حتّى ماتتْ[9].

الدعاء لمن يحيي الليل

وصفهم الله تعالى بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعائهم هذا: ﴿والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[10].

قال الإمام النسفي رحمه الله في تفسير هذه الآية: إنّهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرّعون إلى الله عز وجل في صرف العذاب عنهم[11].

ولذلك بدلاً من الاعتماد على عبادته وكثرة طاعته، ينبغي للعبد أن ينظر إلى سعة رحمة الله تعالى وكرمه، وليحذر تدبير الله الخفيّ فإن هذا هو سبيل الكاملين، كما قال العلامة إسماعيل حقّي رحمه الله تعالى: عباد الرحمن يقضون كل لحظة من حياتهم في ذكر الله تعالى، وهم مع اشتغالهم بالعبادة يعُدّون أنفسهم من المقصّرين المفرّطين المذنبين ويخافون من تدبير الله الخفي فيهم، وذلك لأنهم لا يعتبرون أنفسهم وأعمالهم شيئًا، ولا يثقون في أحوالهم[12].

أخيرًا!

نسأل الله تعالى أن يرزقنا المغفرة والهمّة ببركة القرآن وببركة أولئك الصالحين القائمين الساجدين المستغفرين بالأسحار، وأن يكرمنا بلذة مناجاته والخشية منه والشوق إلى لقائه وأن يجعلنا مقبلين عليه في سائر الأوقات، وأن يغفر لنا بلا حساب ولا سابقة عذاب. آمين بجاه النبي الأمين ﷺ.

(1)]الفرقان: 64-65[. (2) (إحياء علوم الدين: 471/1، ملخصًا). (3)]السجدة: 16[. (4)]الذاريات: 15-18[. (5) (سنن الترمذي: 323/5، (3560)). (6) (سنن ابن ماجه: 127/2، (1334)). (7) (سنن الترمذي: 396/3، (1991)). (8) (صحيح مسلم: صـ 456، (2755)). (9) (تفسير روح البيان: 242/6، بتصرف). (10)]الفرقان: 65[. (11) (تفسير النسفي: صـ 810). (12) (تفسير روح البيان: 244/6، تعريبًا من الفارسية).

https://www.arabicdawateislami.net/

الحثّ على كسب المال الحلال

أبو رجب محمّد آصف العطّاري المدني
رئيس تحرير مجلة فيضان مدينة الشهرية،
وعضو مجلس قسم المدينة العلمية - كراتشي

هذا هو الدرس الّذي أخذناه من سيرة رسول الله ﷺ، حين قام رسول الله ﷺ بتدريب عمليّ للصحابة رضي الله عنهم على ذلك كما جاء في حديث سيّدنا أنَس بن مَالِك رضي الله عنه، أنّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟».

قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ.

قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا».

فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟».

قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ.

قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا».

قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ».

فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا».

فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[5].

فوائد أخرى للكسب الطيب الحلال:

لأهمّية الكسب الحلال والطيّب نستعرض أقوالاً للحبيب المصطفى ﷺ:

1. «أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا مِنْ حَلَالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسَهُ أَوْ كَسَاهَا فَمَنْ دُونَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَإِنَّ لَهُ بِهَا زَكَاةً»[6].

2. قال سيّدنا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ص: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ.
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا سَعْدُ! أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»[7].

من مشكاة النبوة

روي عن السيّدة عَائِشَةَ الصدّيقة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»[1].

شرح الحديث:

جاء في هذا الحديث الشريف أمران:

الأوّل: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ».

الثاني: «وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ».

شرح الجزء الأوّل من الحديث:

قال العلّامة الملّا علي القاري رحمه الله في معنى قوله ﷺ «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»:

أي: الحاصل من وجْهَةِ الواصل من جهةِ صِناعَةٍ أو تجارة أو زراعةٍ[2].

وهذا يدل على أنه مهما كان مصدر الكسب وأيًا كان نوعه، يجب أن يكون متوافقًا مع أحكام الشريعة الإسلامية ويكون خاليًا من الحرام والغشّ، وهذا فقط الذي يُعدّ فيه الكسب حلالًا وطيّبًا.

الحثّ على الكسب الحلال:

مَن خرج مجتهدًا في طلب الرزق الحلال جعله رسولُ الله ﷺ في سبيل الله، كما في الحديث الشريف أنّه: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»[3].

قال المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله في شرح الحديث المذكور: «وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»:

أي: لا تترك نفسك بلا عمل، بل اسعَ لكسب الحلال، وكُل ممّا تكسب[4].

https://www.arabicdawateislami.net/

شرح الجزء الثاني من الحديث:

يقول المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله في معنى قوله «وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»:

إنّ كسبَ الأولاد أيضًا كسبكم، وكأنّكم كسبتموه بشكل غير مباشر[9].

وقد جاء في حديث: أنّ رَجُلًا أتى النّبيّ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللّٰه! إنّ لي مَالًا وَوَلَدًا، وإنّ والِدي يَحْتاجُ مَالِي، قال: «أنْتَ وَمَالُكَ لِوالِدِكَ، إنّ أوْلادَكُمْ مِنْ أطْيَبِ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أوْلادِكُمْ»[10].

يقول المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى: فتبيّن لنا من هذا الحديث الشريف بعض الأحكام: يجب على الأبناء الأغنياء نفقةُ الوالدين المعسرين، وأمّا إذا كانا غنيّين ولا يحتاجان لمال الأبناء فيستحبّ تقديم الهدايا لهما.

وأضاف المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى: لا تنسوا أن الأم تُفني حياتها في تربية أبنائها بينما الأب يربّيهم بإنفاق المال عليهم وعليها، يعني أنّ الوالدة تخدم أولادها الخدمة الجسديّة، بينما الوالد يخدمهم الخدمة الماليّة، وقد قال ﷺ في فضلها: «الْجَنَّةُ تَحْتَ أقْدَامِ الأُمَّهَاتِ»[11]، وقال في فضله: «أنْتَ وَمَالُكَ لأبِيكَ»[12]، فيكون الشكر والتقدير متناسبًا مع الخدمة، وهذا هو عدل سيّدنا رسول الله ﷺ[13].

روي عن سيّدنا جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلَى النّبيّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللّٰه! إنّ أبي أخَذَ مَالِي، فَقَالَ النّبيُّ ﷺ لِلرّجُلِ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِأبِيكَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النّبيّ ﷺ فَقَالَ: إنّ اللّٰه يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ، فَسَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ.

فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النّبيُّ ﷺ: «مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ، أتُرِيدُ أنْ تَأْخُذَ مَالَهُ؟».

فَقَالَ: سَلْهُ يَا رَسُولَ اللّٰه! هَلْ أنْفَقْتُهُ إلّا عَلَى عَمّاتِهِ أوْ خَالَاتِهِ أوْ عَلَى نَفْسِي.

فَقَالَ النّبيُّ ﷺ: «إيهِ، دَعْنَا مِنْ هَذَا أخْبِرْنَا عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ».

فَقَالَ الشَّيْخُ: وَاللّٰه يَا رَسُولَ اللّٰه! مَا يَزَالُ اللّٰه يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا، لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ.

فَقَالَ: «قُلْ، وَأنَا أسْمَعُ».

قَالَ: قُلْتُ:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا ... تُعَلُّ بِمَا أجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ

إذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلّا سَاهِرًا أتَمَلْمَلُ

كَأنِّي أنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أنَّ الْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي ... إلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأنَّكَ أنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأنَّهُ ... بِرَدٍّ عَلَى أهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

فَحِينَئِذٍ أخَذَ النّبيُّ ﷺ بِتَلَابِيبِ ابْنِهِ وَقَالَ: «أنْتَ وَمَالُكَ لأبِيكَ»[14].

ما هو مقدار الاكتساب الضروري؟

من المهم جدًا أنْ نعرف ما هو مقدار الاكتساب الضروري والمستحب؟،

جاء في "الفتاوى الهنديّة":

أنّ الكسبَ فَرْضٌ: وَهُوَ الكَسْبُ بِقَدْرِ الكِفَايَةِ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ وَقَضَاءِ دُيُونِهِ وَنَفَقَةِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ، وَإنْ اكْتَسَبَ مَا يَدّخِرُهُ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فَهُوَ فِي سَعَةٍ، إنْ كَانَ لَهُ أبَوَانِ مُعْسِرَانِ يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ الكَسْبُ بِقَدْرِ كِفَايَتِهِمَا.

وَمُسْتَحَبٌ: وَهُوَ الزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ لِيُوَاسِيَ بِهِ فَقِيرًا أوْ يُجَازِيَ بِهِ قَرِيبًا، فَإنَّهُ أفْضَلُ مِنَ التَّخَلِّي لِنَفْلِ العِبَادَةِ.

وَمُبَاحٌ: وَهُوَ الزِّيَادَةُ لِلزِّيَادَةِ وَالتَّجَمُّلِ.

وَمَكْرُوهٌ: وَهُوَ الجَمْعُ لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ وَإنْ كَانَ مِنْ حِلٍّ[15].

مقتطفات من الحديث الشريف

تبيّن لنا من الحديث السابق وشرحه بعضُ الأمور التالية:

- ينبغي بذل الجهد في الكسب الحلال.
- من الضروري أنْ يكتسب المرء ما يكفيه لتلبية احتياجات أسرته ووالديه، ليكون بعيدًا عن سؤال الآخرين.
- بقاء الرجل بلا عمل يتناقض مع احترامه لذاته ويسهم في تدهور اقتصاد الوطن أيضًا.
- بذل الجهد في كسب الرزق الحلال يُقلّل من البطالة، ويسهم في تعزيز الاقتصاد الوطني.
- العاطلون عن العمل لا يتحمّلون مسؤوليّة أنفسهم، ويظنون الوظيفة والعمل الكبير يأتي دون سعي وجهد، وهذا ليس من تعاليم الشريعة، بل يجب على كلّ شخص أنْ يبذل جهده وما في وسعه لكسب الرزق الحلال، كما نبّه قدوتنا وسيدنا رسول الله ﷺ الشابَ الأنصاريّ إلى العمل وترك سؤال الناس، وقدّم له درسًا عمليًا في السعي من أجل الكسب الحلال ولو باستعمال الأسباب البسيطة.

الملّخص:

المال نعمة من نِعَم الله تعالى لا أحد يستطيع أنْ يستغني عنها، سواءً كان رجلًا أو امرأة، طفلًا أو مُسنًّا عالمًا أو جاهلًا؛ لأنّ البقاء على قيد الحياة يتطلّب الطعام لسدّ الجوع، والملابسَ لستر البدن، والمسكن للمأوى، ووسيلة النقل للسفر، والدواء للعلاج من الأمراض، وكلّها من الاحتياجات الأساسيّة لكلّ إنسان، ولا يمكن الحصول على هذه الأشياء إلّا بالمال.

وإذا لم يمتلك الإنسان مالًا فسيفتقر للآخرين، وإذا حصل على المال بكثرة ربما زاد طغيانه، ومع وجود المال فإن فوائده لا تعدّ ولا تحصى، وكذلك مخاطره أيضًا لا تعدّ ولا تحصى.

نسأل الله العظيم أنْ يوفّقنا وإيّاكم لبذل الجهد في كسب الرزق الحلال والابتعاد عن أي مصدر غير شرعي.

---

(1) (سنن الترمذي: 76/3، (1363)). (2) (مرقاة المفاتيح: 21/6). (3) (المعجم الأوسط: 137/5، (6835)). (4) (مراة المناجيح: 233/4، تعريبًا من الأردية). (5) (سنن أبي داود: 168/2-169، (1641)). (6) (صحيح ابن حبان: 218/6، (4222)). (7) (المعجم الأوسط: 34/5، (6495)). (8) (اتحاف السادة المتقين: 450/6). (9) (مراة المناجيح: 233/4، تعريبًا من الأردية). (10) (سنن أبي داود: 403/3، (3530)). (11) (مسند الشهاب: 102/1، (119)). (12) (المعجم الصغير للطبراني: 63/2، (944)). (13) (مراة المناجيح: 233/4، تعريبًا من الأردية). (14) (المعجم الصغير للطبراني: 63/2، (944)).
(15) (الفتاوى الهندية: 348/5-349، ملخصًا).

https://www.arabicdawateislami.net/

الشيخ عبد الباسط
عضو إدارة الشؤون العربية

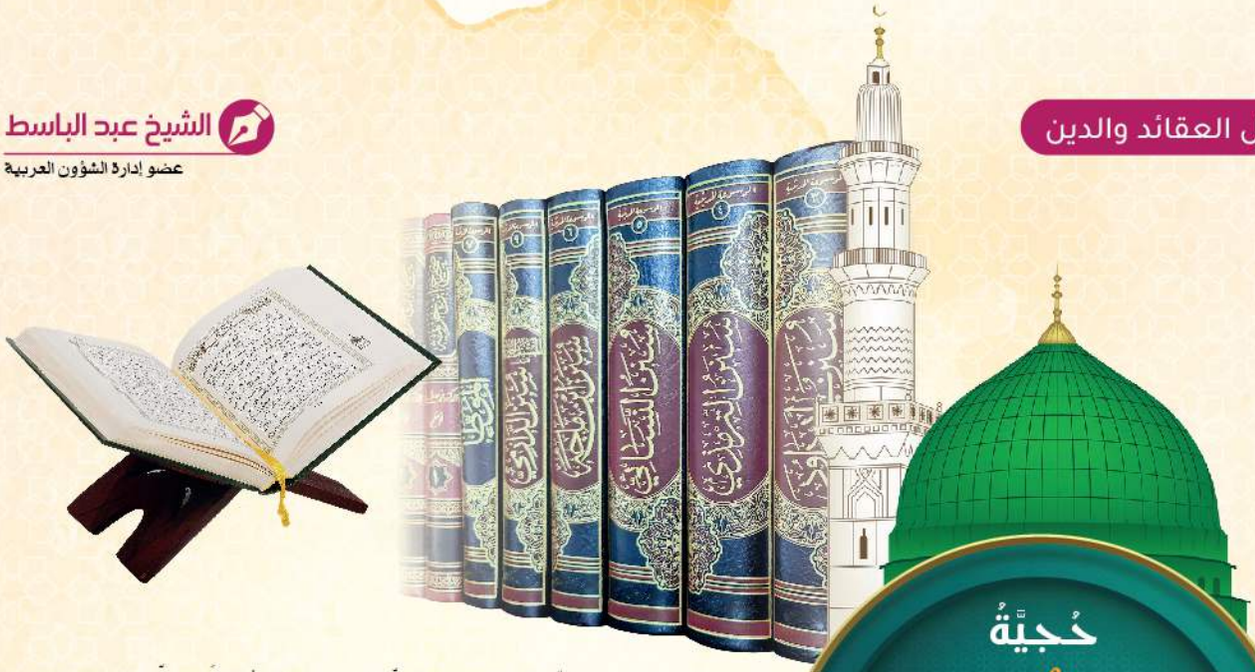

حُجيَّةُ السُّنة المطهّرة

(الوحيُ غير المتْلُو)

الحمد لله الذي أنزل على نبيه الكتاب والحكمة، وأقام بهما الحجة على العباد، ضمانًا للعصمة والسداد، فمن اتبعهما فقد اهتدى ورشد، ومن أعرض عنهما فقد ضلّ وابتعد.

في هذا المقال سنناقش الادّعاء الباطل الذي يقول: إنّ السُنّة ليست وحيًا، وإنّها لا تتمتّع بالمكانة والحجيّة التي يمتلكها القرآن الكريم! ولتوضيح بطلان هذا الرأي نقول:

الحديث في أهمية السنّة ومكانتها ومنزلتها وحجيّتها يُعدُّ أمرًا بالغ الأهمية في الفكر الإسلامي، خصوصًا إذا ما تصوّرنا حجم الهجمة الشرسة على السُنّة المطهرة وما ينصبه أعداء الأمّة في الداخل والخارج من مكائد ومحاولات لا تتوقف يُرادُ منها صرف الناس عن الأحكام الثابتة بها،

مرّةً بادعاء عدم حجيّة بعض أنواعها.

ومرّةً بزعم أنّ ما ورد فيها غير مُبيّن للكتاب فالنّاس ليسوا مطالبين به.

ومرّة بالطّعن بحَمَلَتِهَا الأوّلين ونفي العدالة عنهم.

ومرّةً بادعاء أنّ السنّة لا تعدو أن تكون مجرد توجيهات ونصائح وأهداف غير مُلزمة للمسلمين أن يعملوا بها، وله أن يتخلّى عنها مستدلين لمذاهبهم الفاسدة بأوهى المقالات وأضعف الشبهات.

والبعض يزعم أنّ ما جاءت به السنّة لا ينبغي أن يُعمل به إلّا بعد معرفة سائر ظروف وروده، وأنّ السنّة إذا دلّت على حكم لم يرد في القرآن الكريم لم يؤخذ بها! والحديث الشريف ينبغي أن يُعرضَ على عقولهم الجامدة القاصرة فإن قبلته صحّ عندهم وإلّا فيُترك ويُهمل!

لقد نَسيَ هؤلاء أو تناسوا أنّ سنّة الرسول ﷺ أصلٌ دلّ عليه كتاب الله تعالى وأنّ الأصل لا يُقال له: لمَ؟ وكيف؟ بل يُحكّمُهُ المؤمنون ثمّ لا يجدون في أنفسهم حرجاً ممّا دلّ عليه وينقادون لدلالته.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: إنّ رهطًا من الصحابَةِ ذهبوا إلى بيوتِ النّبيّ ﷺ يسألونَ أزواجَهُ عن عبادتِهِ فلمّا أُخبِرُوا بها كأنّهُم تقالُّوها -أي: اعتبروها قليلةً- ثُمّ قالوا: أينَ نحنُ مِن رسولِ اللّهِ ﷺ وقد غفرَ اللّهُ له ما تقدّمَ من ذنبِهِ وما تأخّرَ؟

فقال أحدُهُم: أما أنا فأصومُ الدّهرَ فلا أفطرُ.

وقال الثّاني: وأنا أقومُ اللّيلِ فلا أنامُ.

وقال الثّالثُ: وأنا أعتزِلُ النّساءَ.

فلمّا بلغ ذلك النّبيّ ﷺ بيّنَ لهم خطأَهم وعوّجَ طريقِهم، وقال لهم: إنّما أنا أعلمُكُم باللّهِ وأخشاكم له؛ ولكنّي أقومُ وأنامُ وأصومُ وأفطِرُ وأتزوّجُ النّساءَ فمَن رغِبَ عن سُنّتي فليسَ منّي)[2].

وعن صدفة بن أبي عبيد الله أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: إنّ أصحاب الرأي أعداء السُنَن أعيتهم وتفلّتت منهم أن يحفظوها...[3].

https://www.arabicdawateislami.net/

- وعن عمرو بن حُريث قال: قال عمر رضي الله عنه: إيّاكم وأصحاب الرأي فإنّهم أعداء السُنَنْ أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلّوا[4].

- وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الدّين بالرأي لكان أسفَلَ الخفّ أحقّ بمسحه من أعلاه[5].

وهذه النصوص من كتاب الله تعالى أو من سنّة رسوله ﷺ لتؤكّدُ وبدون شك حجيّة السنّة، وأنّها وحيٌ غير متلو، وأنّها ثابتة بالقرآن وبالسُنّة نفسها كما سنبيّن بالأدلّة:

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[6].

السُنَّة النبويّةُ وحيٌ من الله تعالى:

وتعرّف السُنّة بأنها: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول وفعل وتقرير ووصف خِلْقي أو خُلُقي[7].

فهل هذا يعني أنّ السُنّة شيء يصدر عن رسول الله ﷺ من تلقاء نفسه؟ أم أنّها وحيٌ أوحى الله به إلى نبيه ﷺ؟

والجواب: أنّ الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى نبيّه معجزةَ الدهر ودستورَ الحياة، كما أوحى إليه معه بيانه الحكيم إتماماً للنعمة ومنعاً للقول في دين الله تعالى بغير ما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

والأدلّة على أنّ السنّة وحيٌ كالقرآن كثيرة ومتعدّدة منها:

أولاً:

- أنّه وَرَدتْ آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم اقترنت فيها الحكمة بالقرآن، بعض هذه الآيات يؤكّدُ نزولها مع القرآن كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣﴾[8].

- وبعض الآيات تؤكّد أنها وحي مثل القرآن كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ۝٣٩﴾[9].

- ومن الآيات تؤكّد أنّ الله امتَنّ على هذه الأمّة ببعثة نبيّها منها، وأنّ مهمته تعليمهم الكتاب والحكمة يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾[10].

- وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾[11].

- ولذلك خاطب الله نساء النبي ﷺ فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾[12].

فالحكمة تتلى في بيوت النبي ﷺ مع القرآن الكريم، والذي عليه جمهور العلماء والمحقّقين أنّ الحكمة شيءٌ آخر غير القرآن، وهو ما ينطق به ﷺ من كلام نافع يهدي إلى الرشد والفلاح، ويأمر بهما ويمنع من الجهل والضلال وينهى عنهما، ويُعبّر العلماء عنها بالسنّة، قال الإمام الشافعي: ذَكَرَ الله جلّ ثناؤه الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنّة رسول الله ﷺ[13].

وقال الحسن وقتادة رحمهما الله تعالى: الكتاب هو القرآن والحكمة هي سنّة رسول الله ﷺ[14].

وقال المفسّرون:

"من آيات الله" أي: القرآن الكريم.

"والحكمة": ويعلمهم أسرار الشريعة ومقاصدها فيكون قدوةً لهم (السنّة) ويفقههم في الدين (يعلمهم الحكمة) أي: كلمات النبي ﷺ[15].

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[16].

"والحكمة" أي: السنة أو بيان معاني القرآن[17].

وما ذَكَرَهُ العلماء هو عينُ الصواب؛ لأنّ الله ذكر الكتاب وعطف عليه الحكمة والعطف هذا يقتضي المغايرة أي: أنّهما شيئان لا شيء واحد، وليس هناك شيء آخر مناسب غير السنّة المطهّرة لا سيما وأنها ذُكرت في مقام التّفضّل والامتنان من الله تعالى علينا بتعليمنا إيّاها وتزكيتنا وهدايتنا، كما أنّه تعالى ذَكَرَ ذلك في مقام الجزم أيضًا، إذ أوضح أنّه لا مَناصَ من بيان وتأكيد المعاني الشرعية التي أرادها إلّا بالرجوع إلى سنّة رسول الله ﷺ، ولهذا جُعلت السنّة هي المفسر الثاني للكتاب العزيز بعد الكتاب نفسه.

https://www.arabicdawateislami.net/

ثانيًا:

أنّ اللّٰه سبحانه وتعالى قد حدّد مهمّة النبي ﷺ مع القرآن الكريم فجعلها البيان له قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[18].

ثمّ أوضح أنّ بيان النبي ﷺ للقرآن ليس نابعًا من تلقاء نفسه وإنّما هو وحيٌ من ربّه يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[19].

- فقد نسب الحق سبحانه وتعالى البيانَ إلى نفسه بضمير العظمة الإلهية لينبّه إلى أنّ سيدنا محمدًا ﷺ لا يأتِ بشيء من قِبَلِ نفسه وإنّما هو كما وصفهُ ربّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[20].
- يقول ابن كثير في تفسيره عند قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نُبيّنه لك ونوضحه ونُلهمُك معناه على ما أردنا.
- وقال ابن عباس وعطيّة العُوفي رحمهما الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ نُبيّنُ حلاله وحرامه[21].
- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: ﴿بَيَانَهُۥ﴾ جنسٌ مضافٌ فيعُم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلق بها، من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك[22].

ثالثًا:

أن الله سبحانه وتعالى قال عن نطق نبيّه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهذا واضحٌ في إثبات أنّ كلامه محصورٌ في كونه وحيًا فهو لا يتكلّم إلّا به وليس بغيره، فقد روى أبو بكر البزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما أخبرْتُكم أنّه من عندِ اللهِ فهو الّذي لا شكّ فيه[23].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّي لأمزَحُ ولا أقولُ إلّا حقًا قالوا: إنّك تُداعِبُنا يا رسولَ اللهِ! قال: إنّي لا أقولُ إلّا حقًا[24].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ[25].

وعن المقدام بن معديكرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله[26].

حاصل الكلام:

السنّة النبوية المطهّرة تمثّلُ إلى جانب القرآن الكريم أسس الدين الإسلامي وقاعدته الأساسية التي لا يستقيم أمرٌ ولا فقههٌ دونها، فبدون السُنّة النبوية تُبهَمُ معاني الكتاب ويقضى على فقه الدين، فالله تعالى قد أوحى إلى نبيه ﷺ معجزة الدهر ودستور الحياة، كما أوحى إليه مَعَهُ السُنّة إتمامًا للنعمة ومنعًا للقول في دين الله تعالى في غير ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، وكل هذا كان معلومًا لدى الصحابة الكرام، وكان الوحي يراقبُ تصرفاته ﷺ ويراقب تصرفات الأمّة فإن حَصَلَ شيء يحتاج للتنبيه كان ينبههم القرآن الكريم عن طريق الوحي إلى ما هو أفضل لدنياهم وآخرتهم، فضلاً عن النصوص القطعيّة الكثيرة الدّالة على وجوب تصديق خبره وطاعة أوامره ﷺ.

---

(1) [الأحزاب: 36].
(2) (صحيح البخاري: 5063).
(3) (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 1194).
(4) (جامع بيان العلم وفضله: 1195).
(5) (الفقيه والمتفقه لأحمد بن علي الخطيب البغدادي: 471، 474).
(6) [النجم: 1، 4].
(7) (منهج النقد لنور الدين عتر: 26).
(8) [النساء: 113]. (9) [الإسراء: 39].
(10) [آل عمران: 164]. (11) [الجمعة: 2].
(12) [الأحزاب: 34]. (13) (الرسالة للشافعي: 1/ 72).
(14) (الفقيه والمتفقه للبغدادي: 1/ 88).
(15) (تفسير مفاتيح الغيب، للإمام الرازي: 25/ 168).
(16) [الأحزاب: 34].
(17) (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: 3/ 30).
(18) [النحل: 44].
(19) [القيامة: 18، 19].
(20) [النجم: 3، 4].
(21) (تفسير ابن كثير: 7/ 449).
(22) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 7/ 555).
(23) (مسند البزّار: 8900).
(24) (مسند الإمام أحمد: 8481).
(25) (صحيح البخاري: 7288)، (صحيح مسلم: 1337).
(26) (سنن ابن ماجه: 12).

https://www.arabicdawateislami.net/

الشيخ طارق المحمد

جواب مختصر عن الخلوة وسند الطريقة وأمر الذكر عند أهل التصوف

الحمد لله والصلاة
والسلام على سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
ومن والاه وبعد: هذا جواب مهم في ثلاث مسائل مهمة تثار
حول بعض ما يقوم به أهل التصوف وقد اقتبسنا الجواب مختصرًا مع بعض التصرف من كتاب "حقائق عن التصوف" لسيدي العلامة المربي العارف بالله الشيخ عبد القادر عيسى الحلبي رحمه الله تعالى ورضي عنه فنقول وبالله التوفيق:

المسألة الأولى:

اِعلم أن الخلوة هي انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكرٌ لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكرٌ في آلائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلِّمه إذا جهل، ويذكِّره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس وهنا ثلاث تنبيهات:

أولاً: الخلوة كانت داخلة ضمن البعثة ولكن قبل نزول الوحي الصريح، بدليل قول السيدة عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي "الرؤيا الصالحة في النوم"....، ثم حبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو -التعبّد- الليالي ذوات العدد[1].

ثانيًا: الرسول ﷺ بعد نزول الوحي وجبريل عليه السلام لم يترك الخلوة لكنه ما ترك الاعتكاف حتى انتقل من هذه الدنيا صار يوجد من حوله أهل الإيمان فكان يخلو في المسجد في كل عام مرة في العشر الأواخر من رمضان إلى آخر حياته، قالت السيدة عائشةُ رضي الله عنها: كان رَسولُ اللهِ ﷺ يَخلِطُ العِشرينَ بصَلاةِ ونَومٍ، فإذا كان العَشرُ، شمَّرَ وشدَّ المِئزَرَ -أو شدَّ الإزارَ- وشمَّرَ[2].

ثالثًا: سيرة رسول الله ﷺ حيث أنه بدأ عمله السلوكي بالخلوة يشير إلى أن الانسان يحتاج إلى خلوة كما استدل على ذلك بهذا الحديث أئمة الإسلام..

قال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى (م 923 هـ) في شرحه لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها المذكور: فيه تنبيه على فضل العزلة؛ لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا، وتفرغه لله تعالى، فتنفجر منه ينابيع الحكمة.

والخلوة أن يخلو عن غيره، بل وعن نفسه بربه، وعند ذلك يصير خليقًا بأن يكون قالبه ممرًا لواردات علوم الغيب، وقلبه مقرًا لها.

فإن قلتَ: إن أمر الغار قبل الرسالة، ولا حكم إلا بعد الرسالة؟

- قال المحدث القسطلاني مجيبًا: إنه أول ما بُدِئَ به عليه الصلاة والسلام من الوحي "الرؤيا الصالحة"، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء كما مر، فدل على أن الخلوة حكم مرتب على الوحي؛ لأن كلمة [ثم] للترتيب، وأيضًا لو لم تكن من الدين لنهى عنها، بل هي ذريعة لمجيء الحق، وظهورُه مبارك عليه وعلى أمته تأسِّيًا وسلامة من المناكير وضررها، ولها شروط مذكورة في محلها من كتب القوم[3].

- قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (م 676 هـ) في شرح حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عند قوله: "حبب إليه الخلاء"، أما الخلاء فهو الخلوة، وهي شأن الصالحين، وعباد الله العارفين.

ثم قال: قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: حُبِّبَتْ إليه العزلة ﷺ؛ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكّر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشّع قلبه[4].

كما أن رسول الله ﷺ وجّه الصحابة والناس جميعًا في حديث السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ومنهم: (ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خالِيًا فَفاضَتْ عَيْناهُ)[5].

https://www.arabicdawateislami.net/

والتفصيل يأتي من العلماء الربانيين والمربين المرشدين كما هو الحال في الأحكام الفقهية من الفقهاء وكذلك الأمر في الأحكام التربوية والسلوكية يُرجَعُ فيها للمربّيين العارفين

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذي ليس معهم إنصاف ولا أدب[6]. وقيل للجنيد: بم نلت ما نلت؟ فقال: بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة[7].

إذنْ فالخلوة هي السبيل العملي الذي سنه رسول الله ﷺ للناس، كي يقوى إيمانهم، وتصفو نفوسهم، وتسمو أرواحهم، وتتطهّر قلوبهم، وتتأهّل لتجليات الله تعالى.

- أليس هذا التوجيه من رسول الله ﷺ سببًا للتعرّف على فاطر السماوات والأرض؟
- أليس هذا أساسًا للأذواق والمواجيد الصوفية، وسبيلاً للكشف والفيض والإشراق والصفاء؟
- ألم يقل رسول الله ﷺ في الحديث السابق ذكره: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه[8].
- وفي هذه الخلوة يذكر الصوفي ربه خاليًا فيغمره بأنواره ويحظى بمجالسته "أهل ذكري أهل مجالستي" (مسند أحمد). لا يدور بخَلَدِه أي طائف يشغله عن ربه، حتى إنه لينسى نفسه في حضرة القدُس الأعلى.

وَلِيُّ اللهِ لَيسَ لَهُ أَنِيسٌ ... سِوى الرحمنِ فهو له جليسُ
فيذكرهُ ويذكرهُ فيبكي ... وحيدُ الدهرِ جوهره نفيسُ

وأما الصحابة والتابعون فكانوا كلهم يحافظون على الاعتكاف العشر الأواخر من رمضان وهذه هي الخلوة، وعندما تتيسّر الخلوة في العشر الأواخر من رمضان في المسجد يرجّحها الشيوخ على غيرها من الأوقات، والفقهاء قالوا: الاعتكاف على مدار العام مستحب، وفي رمضان أشد استحبابًا وفي العشر الأواخر سنة كفاية مؤكدة[9].

فوائد الخلوة: قد ذكر المربّون والعارفون أن للخلوة عشر فوائد:

1. السلامة من آفات اللسان، فإنّ مَنْ كان وحده لا يجد معه من يتكلم، ولا يسلم في الغالب من آفاته إلا من آثرَ الخلوة على الاجتماع.
1. السلامة من آفات النظر، فإنّ من كان معتزلاً عن الناس سلم من النظر إلى ما هم مُنْكَبُون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها، قال بعضهم: (من كثرت لحظاته دامت حسراته)[10].
2. حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض.
3. حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، وفي ذلك شرف العبد وكماله.
4. السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال، وفي مخالطتهم فساد عظيم.
6. التفرغ للعبادة والذكر، والعزم على التقوى والبر.
7. وُجْدانُ حلاوة الطاعات، وتمكن لذيذ المناجاة بفراغ سره، قال أبو طالب المكي في "القوت": (لا يكون المريد صادقاً حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية)[11].
8. راحة القلب والبدن، فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب.
9. صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة.
10. التمكّن من عبادة التفكّر والاعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة[12].

المسألة الثانية:

أما الذكر بالاسم المفرد [الله] فجائز بدليل قول الله تعالى:

﴿واذْكُرِ اسمَ ربّكَ وتبتّلْ إليه تبتيلاً﴾[13].

وقوله تعالى: ﴿واذْكُرِ اسمَ ربّكَ بكرةً وأصيلاً﴾[14].

وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله"[15]. فهذا اسم مفرد ورد ذكره مكررًا في هذا الحديث.

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة على أحدٍ يقول: الله، الله"[16].

فهذا يشير إلى الإكثار من ذكر "الله، الله". والتفصيل أيضًا فيه في الإكثار يرجع إلى المربّين العارفين.

https://www.arabicdawateislami.net/

المسألة الثالثة:

وأما السند فقال العلماء: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء، والإسناد معتمد عند أهل السنة والجماعة، سواءً عند المحدثين أو عند الفقهاء أو عند أهل التصوف، ولما كان التصوّف من حيث الحقيقة لا من حيث الاسم هو روح الإسلام مُني التصوف (أي عُودي) بهجماتٍ منذ الزمن البعيد تقصد إلى تشويهه، لا سيما وأنه يتعلق بتربية النفس والروح وعلاقته بأمور تكاد أن تكون خفية على الناس ولا يتنبّهون لها، لذلك فإن أعداء الإسلام بمكرهم ودهائهم حاولوا الدخول للتشويه في الإسلام من خلال أمور النفس والقلب وكذا وكذا.. تحت شعار التصوّف، والصوفية الحقيقيّون المتمكّنون في العلم والسلوك، نبّهوا إليهم منذ القديم وحذّروا من الدسائس الباطنية... ولذلك قال شيخ الصوفية الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة)[17].

وقال أيضًا: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام، واتبع سنته ولزم طريقته، فإنّ طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه)[18].

وقال أيضًا: (ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال لكن عن الجوع [الصوم] وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات)[19].

هكذا عُرف التصوّف والطريق بالتلقّي عندهم كابرًا عن كابر فمثلاً: قد نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدر رحمه الله: أن أبا علي الدقّاق رحمه الله تعالى قال: أنا أخذتُ هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي.

وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه، وكلٌ منهم أثنى عليه وأقرّ بفضله..

ثم قال صاحب الدر معلقًا:

فيا عجبًا لك يا أخي! ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟

أكانوا مُتّهمين في هذا الإقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟

ومَن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع[20].

وكونه لم يرد في بعض الروايات باب التصوّف أو الطريقة يجيب الشعراني رحمه الله تعالى على هذا فيقول:

إنما لم يضع المجتهدون في ذلك كتابًا لقلة الأمراض في أهل عصرهم، وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك، فكان ذلك في بعض أناس قليلين، لا يكاد يظهر لهم عيب.

وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم، التي هي مادة كل علم، وبها يُعرف موازين جميع الأحكام، فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين، وقد لا يقعون بها في حكم الأصل.

ولا يقول عاقل قطّ: إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم، يعلم أحدهم من نفسه رياءً أو عُجبًا أو كبرًا أو حسدًا أو نفاقًا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبدًا.

ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم[21].

إلى جانب ذلك لم يكن شيء معروفًا في وقتهم أيضًا عن القراءات العشر أي عند الصحابة كقراءة ورش وابن كثير وعاصم ونافع وغيره كما أنه لم يكن هناك ما يسمى بـ"المذهب الشافعي" و"المذهب الحنفي" و"بقية الفقهاء" فحين احتاجوا لذلك واجتهد العلماء ودوّنوا اجتهاداتهم اصطلحوا لكل علم اسمًا وقعّدوا القواعد.. ثم انتشر كل علم ونُسب لأهله، كـ"علم الحديث" و"علم الفقه" و"علم التوحيد" و"علم الأصول" وهكذا.. ولم يكن قبل ذلك كل هذه الأسماء على عهد الصحابة ولم يعرفوا كثيرًا من المصطلحات التي جاءت فيما بعد، فكذلك هو أمر التصوّف والسلوك فكان يُعرف في كل عصر باسم فمرة كان يقال له الزهد، ومرة يقال له التزكية، ومرة يقال له مقام الإحسان، وهكذا استقرّ اسم "الطريقة" أو "التصوّف" لمن سلك ذاتَ المسلك على بصيرة كما جاء في الكتاب والسنة وتفصيل العلماء وأرباب هذا العلم والطريق، ثم ظهر فيما يسمى "كتاب الزهد" لابن المبارك ولابن حنبل رحمهم الله تعالى... إلى أن توسّع هذا العلم وانتشر فدوّنه العلماء من أهله ومنهم أبو القاسم القشيري في "رسالته" والإمام الغزالي في "الإحياء" وغيرهم رضي الله عنهم.

والتفصيل في هذه المسائل واسع ونافع وماتع، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتاب الذي جعلناه مصدرًا لجوابنا وصدّرنا اسمه في مطلع هذا المقال.

(1) (صحيح البخاري: 3) (صحيح مسلم: 160).
(2) (مسند أحمد: 25136).
(3) (إرشاد الساري للقسطلاني: 62/1).
(4) (شرح صحيح مسلم للإمام الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين النووي: 198/2).
(5) (صحيح البخاري: 660) (مسلم: 91).
(6) (بستان العارفين للنووي: صـ 47).
(7) (فيض القدير: 482/3)
(8) (صحيح البخاري: كتاب الرقاق، رقم الحديث: 660).
(9) (المعتمد في الفقه الشافعي – 226/2، ملخصاً).
(10) (فيض القدير: 398/4).
(11) (قوت القلوب: 173/1).
(12) (إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة: 30/1).
(13) [المزمل: 8].
(14) [الدهر: 25].
(15) (صحيح مسلم: 234، بطريق عن حمّاد عن ثابت عن أنس).
(16) (أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه متصلاً بالحديث الذي رقمه 234، بطريق عن مَعْمَر عن ثابت عن أنس).
(17) (وفيات الأعيان: 346/1).
(18) (المرجع السابق).
(19) (الرسالة القشيرية: صـ 22).
(20) (الدر المختار: 43/1، وعليه حاشية ابن عابدين رحمه الله تعالى).
(21) (لطائف المنن والأخلاق للشعراني: 25/1 -26)

https://www.arabicdawateislami.net/

محمد رضا القريشي
عضو قسم المحتوى والنصوص

منذ القدم، اعتمد الإنسان على الطبيعة في تلبية احتياجاته المختلفة، بما في ذلك استخدام النباتات والأعشاب للعلاج، ومع تطور العصور أصبحت الأعشاب جزءًا أساسيًا من الطب التقليدي في مختلف الحضارات، ويُعد الطب النبوي فرعًا من العلوم الإسلامية الذي يهتم بإرشادات النبي محمد ﷺ في الوقاية والعلاج، جامعًا بين الإيمان والطب في نهج متكامل لصحة الإنسان.

الطب النبوي والتداوي بالأعشاب

مفهوم الطب النبوي:

الطب النبوي هو عبارة عن مجموعة من النصائح الطبية التي وصلتنا عن النبي ﷺ من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، فهي تعالج النفوس وأمراض القلوب، والأجساد.

وهو مصطلح يشير إلى كل ما ورد في الهدي النبوي مما يتعلق بالطب، سواء ما تطبب به النبي ﷺ أو وصفه للآخرين، ويشمل ذلك الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

أهمية الطب النبوي:

تبرز أهمية الطب النبوي في دمجه بين العلاج الجسدي والدعم الروحي، مما يحقق توازنًا شاملًا لصحة الإنسان، ويعتمد هذا الطب على توجيهات نبوية شريفة أثبتت فعاليتها على مر الزمان، سواء في الوقاية أو العلاج كما يولي أهمية كبيرة للتغذية السليمة، مشجّعًا على تناول الأطعمة الصحية التي تدعم صحة الإنسان وتقيه من الأمراض، مما يجعله نهجًا شاملاً يجمع بين التجربة العملية والهدي الرباني.

مزايا الطب النبوي:

- **فعاليته في علاج الأمراض:** يُعتبر الطب النبوي علاجًا فعالًا للعديد من الأمراض التي يعاني منها الإنسان مثل الصداع، السرطان، وأمراض القلب، بالإضافة إلى مشكلات صحية أخرى متعددة.
- **توافر المواد والأدوات بأسعار معقولة:** المواد والأدوات المستخدمة في تطبيق الطب النبوي غالبًا ما تكون متوفرة في الطبيعة وسهلة الحصول عليها، كما أنها تتميز بتكلفتها المنخفضة مقارنة بالعلاجات الأخرى.
- **عدم وجود آثار جانبية:** يعتمد الطب النبوي في معظم علاجاته على الأعشاب الطبيعية والمواد المفيدة صحياً، مما يقلل من حدوث أي آثار جانبية سلبية على الجسم مقارنة بالأدوية الكيميائية الأخرى.

أنواع العلاج بالطب النبوي:

الطب النبوي يشمل مجموعة من الإرشادات الطبية التي قدمها النبي ﷺ في مختلف جوانب الحياة الصحية، وتتنوع بين الوقاية والعلاج والعناية بالنواحي النفسية والروحية، ويمكن أن نقسّمها إلى ثلاثة أقسام:

- **الطب النبوي المتعلق بالمحافظة على الصحة:** ويشمل الإرشادات النبوية التي تهدف إلى الوقاية والحفاظ على الصحة العامة من خلال العادات اليومية السليمة مثل التغذية المتوازنة والنظافة الشخصية والرياضة.
- **الطب النبوي المتعلق بالعلاج:** ويتضمن العلاجات الطبيعية والتوجيهات التي وردت عن النبي ﷺ لمعالجة الأمراض، مثل استخدام الأعشاب الطبية والطرق الطبيعية لعلاج الأمراض الجسدية.

https://www.arabicdawateislami.net/

ملحوظة: قبل تناول أيّ دواء أو مكمل غذائي لابدّ من استشارة الطبيب لضمان سلامة صحتك والعلاج المناسب.

الطب النبوي الروحي ويشمل الإرشادات التي تساهم في تعزيز الصحة النفسية والروحية، مثل الرقية الشرعية، والدعاء، وطرق التعامل مع الأرق والاكتئاب من خلال تقوية التوكّل على الله والإيمان.

ما هو الطب النبوي الوقائي؟

الطب النبوي الوقائي هو عبارة عن مجموعة إرشادات نبوية تهدف إلى الوقاية من الأمراض من خلال القضاء على أسبابها ومنع انتشار العدوى، ويشمل تحسين ظروف الحياة والحد من الحوادث والتوتر كما يعزز من الحفاظ على صحة الأفراد في المجتمع عبر وقايتهم من الأمراض وتحسين عافيتهم.

من الإرشادات النبوية:

الطهارة والنظافة الشخصية:

- الطهور شطر الإيمان. [1]
- ما لي أراكم تأتوني قُلْحًا، استاكوا، لولا أن أشُقَّ على أمتي، لفرضتُ عليهم السِّواك.[2]

الاعتدال في الأكل والشرب:

- «ما ملأ آدميٌّ وِعاءً شرًّا مِن بطنِه حسْبُ ابنِ آدم ثلاثُ أكلاتٍ يُقِمْنَ صُلبَه، فإنْ كان لا محالة فثُلثُ طعامٍ وثلثُ شرابٍ وثلثٌ لنفسِه»[3]

الصيام لتعزيز الصحة:

- صوموا تصحوا [4]

تجنب العادات الغذائية:

- «لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا» [5]
- «انهسوا اللحم نهسًا فإنه أهنأ وأمرأ» [6]
- «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها» [7]

الاهتمام بآداب الأكل والشرب:

- «بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده» [8]
- «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله» [9]

الاستفادة من الملح والأطعمة الصحية:

- إذا أكلتَ فابدأْ بالْمِلْحِ واختِمْ بِالْمِلْحِ فإنَّ الْمِلْحَ شِفاءٌ مِن سبعين داءٍ: أوَّلها الجنون والجُذام والبَرَص ووجَعِ الأضراس ووجَعِ الحلق ووجع البطن[10].

التوصية ببعض الأطعمة الوقائية:

- «من تصبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم، ولا سحر»[11]
- «من لعق العسل ثلاث غدوات، كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء»[12]

هذه الإرشادات النبوية تمثّل نظامًا وقائيًا متكاملًا يعزز الصحة العامة ويساهم في بناء مجتمع صحي ومتوازن.

قبسات طبية في الأقوال النبوية:

تناولت الأحاديث النبوية الشريفة إرشادات صحية متكاملة تجمع بين الوقاية والعلاج، مع التأكيد على أهمية النظافة والتداوي بالوسائل المباحة والفعالة كما دعت إلى استخدام العلاجات الطبيعية مثل الحجامة والعسل، وربطت الصحة الجسدية بالعناية الروحية.

هذه التوجيهات تقدم نهجًا متوازنًا ينسجم مع القيم العلمية والإنسانية:

- «إنّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام» [13]
- «لا تداوِ أحدًا حتّى تعرف داءَه» [14]
- «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» [15]
- «إذا حم أحدكم فليشن عليه الماء البارد من السحر ثلاثا» [16]
- الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي [17]
- إن خير ما تداويتم به اللّدود والسّعوط والحِجامة والْمَشِيُ، وخيرُ ما اكتحلتم به الإثمد، فإنه يجلو البصَر ويُنبت الشّعر [18]
- «التلبينة تجم فؤاد المريض، وتذهب ببعض الحزن» [19]
- «إن الخاصرة عرق الكلية، إذا تحرك آذى صاحبها، فداووها بالماء المحرق والعسل» [20]
- «المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» [21]
- «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم» [22]

الطب النبوي والتداوي بالأعشاب:

- **الحبة السوداء** (Nigella sativa):

«إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام» قلت: وما السام؟ قال: «الموت» [23].

- **العسل** (Honey):

"عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن" [24].

- **زيت الزيتون** (Olive Oil):

كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام [25].

- **ماء زمزم** (zamzam water):

"خير ماء على وجه الأرض ماءُ زَمْزَمَ، فيه طَعامٌ مِن الطُعْم، وشِفاءٌ مِن السُقْم" [26].

- **التين** (Fig):

كلوا التين فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هي التين كلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس [27].

https://www.arabicdawateislami.net/

○ **الحناء** (Henna):

عن أم رافع، مولاة رسول الله ﷺ قالت: «كان لا يصيب النبي ﷺ، قرحة، ولا شوكة، إلا وضع عليه الحناء»[28].

○ **القسط الهندي** (Saussurea costus):

"عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية: يستعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب"[29].

○ **الهندباء** (Dandelions):

عليكم بالهِنْدباء فإنه ما مِن يوم إلا وهو تُقطَر عليه قطرة من قَطر الجنة[30].

○ **المرزنجوش** (Organum):

عليكم بالمرزنجوش فشموه فإنه جيد للخشام[31].

أي: البردقوش.

○ **الكمأة** (Terfeziaceae):

«الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»[32].

○ **الحلبة** (Fenugreek):

«لو تعلم أمتي ما لها في الحلبة، لاسترودها ولو بوزنها ذهبا»[33].

○ **نبات الصَبر** (Aloe vera):

قال رسول الله ﷺ: ماذا في الأمرين من الشفاء "الصبر والثفاء"[34]. أي: الصَبرُ: هو الدواء المُرّ المعروف. والثُفاء: هو الخَرْدَل[35].

ملحوظة: قبل تناول أيّ دواء أو مكمل غذائي لابدّ من استشارة الطبيب لضمان سلامة صحتك والعلاج المناسب.

الرسائل والكتب القديمة المؤلّفة في الطب النبوي الشريف:

لا تزال مجموعة من الكتب والرسائل المؤلفة في الطب النبوي موجودة في مكتبات العالم رغم ضياع العديد منها عبر الزمن، وإليكم قائمة مختصرة لأشهر كتب الطب النبوي التي تناولها العلماء:

1. **الطب النبوي** للإمام علي الرضا (م: 203 هـ)
2. **الطب النبوي** لابن حبيب الأندلسي (م: 238 هـ)
3. **الطب النبوي** للحافظ الدينوري (م: 364 هـ)
4. **الطب النبوي** للحافظ الأصبهاني (م: 430 هـ)
5. **طب النبي ﷺ** للحافظ المستغفري (م: 432 هـ)
6. **الطب النبوي** للحافظ ضياء الدين المقدسي (م: 643 هـ)
7. **الطب النبوي** للحافظ الذهبي (م: 748 هـ)
8. **الشفا في الطب** المسند عن السيد المصطفى للتيفاشي (م: 651 هـ)
9. **السير القوي في الطب النبوي** للسخاوي (م: 920 هـ)
10. **المنهج السوي والمنهل الروي** للسيوطي (م: 911 هـ)
11. **المنهل الروي في الطب النبوي** لابن طولون الدمشقي (م: 953 هـ)
12. **الأحكام النبوية في الصناعة الطبية** للحموي (م: 720 هـ)

هل الطب النبوي والطب الحديث: فيه تكامل أم تعارض؟

يشهد العالم اليوم زيادة في الاهتمام بالطب النبوي كجزء من الطب التكميلي، كما يُظهر البحث العلمي توافقًا متزايدًا بين بعض التوصيات النبوية والاكتشافات الحديثة، وعلى سبيل المثال، أثبتت الدراسات الحديثة فوائد العسل والحبة السوداء والحجامة، مما يعزز من مكانة الطب النبوي كمكمل للعلوم الطبية؛ لذا، من الضروري أن ننظر في هذه المبادئ الصحية القيمة ونطبّقها في حياتنا اليومية من أجل الحفاظ على صحتنا والوقاية من الأمراض، إن الطب النبوي لا يقتصر على علاج الأمراض فحسب، بل يتعدّى ذلك ليكون نهجًا وقائيًا يعزز من حياة صحية ومتوازنة.

في الختام نقول: إن هدي النبي ﷺ في الطب وسائر شؤون الحياة هو هدي إلهيّ متيقّن، قائم على الوحي وكمال العقل، ولا يُقاس بطب الأطباء الذي يعتمد على الحدس والتجربة.

وما لم يقبله القلب بالإيمان، والإذعان، واليقين ببركته وشفائه، قد لا تظهر ثمراته، فلنحرص على أن نستمد من هذا الهدي العظيم ما يصلح أجسادنا وأرواحنا، ونجعل من سنته منهج حياة نهتدي به في كل أمورنا، فهو أكمل الهدي، وأعظم الخير، فصلوات ربي وسلامه عليه عدد ما أحاط به علمه وجرى به قدره.

اللهم صلّ على سيدنا محمّد طِبّ القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلّم[36].

ذهبت أناجي طبيب الوري ـــ وروحي تناجي إله السماء ـــ فهذا الطبيب ليعطي الدوا ـــ وربي ليجعل فيه الشـــفاء

---

(1) (صحيح مسلم: 223). (2) (مسند أحمد: 1835). (3) (المستدرك للحاكم: 7945). (4) (المعجم الأوسط للطبراني: 8312). (5) (صحيح البخاري: 5398). (6) (سنن الترمذي: 1835). (7) (سنن الترمذي: 1824). (8) (سنن أبي داود: 3761). (9) (صحيح مسلم: 2020). (10) (المطالب العالية لابن حجر العسقلاني: 2390). (11) (صحيح مسلم: 2047). (12) (سنن ابن ماجه: 3450). (13) (سنن أبي داود: 3866). (14) (المتفق والمفترق للخطيب: 1775/3). (15) (صحيح البخاري: 3263). (16) (السنن الكبرى للنسائي: 7566). (17)(صحيح البخاري: 5680). (18) (سنن الترمذي: 2048). (19) (صحيح البخاري: 5689). (20) (المستدرك للحاكم: 449/4). (21) (صحيح البخاري: 5393). (22) (المعجم الكبير للطبراني: 11167). (23) (صحيح البخاري: 5687). (24) (سنن ابن ماجه: 3452). (25) (الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني: 684). (26) (أخبار مكة للفاكهي: 1106). (27) (الطب النبوي للأصفهاني: 467). (28) (سنن ابن ماجه: 3502). (29) (صحيح البخاري: 5692). (30) (السنن الكبرى للبيهقي: 19578). (31) (النهاية لابن الأثير: 317/4). (32) (الطب النبوي للأصفهاني: 286). (33) (الطب النبوي للأصفهاني: 678). (34) (صحيح البخاري: 4478). (35) (المعجم الكبير للطبراني: 187). (36) (سعادة الدارين للإمام النبهاني: صـ24).

https://www.arabicdawateislami.net/

فضيلة الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى
شيخ الطريقة العطارية القادرية ومؤسس مركز الدعوة الإسلامية

المذاكرة المدنية

النادم من الدعاء على الآخرين ماذا يفعل؟

السؤال: إذا دعا أحد على شخص ما بسوء ثم ندم على ذلك، فماذا ينبغي عليه أن يفعل؟

الجواب: ينبغي أن يستغفر الله ويدعو له بالخير ويتوجه إلى الله تعالى قائلاً: «يا الله! إني قد دعوت على فلان، فتفضل عليه برحمتك، ولا تصبه بأي ضر». وأما قبول الدعاء أو عدمه فهو في يد الله رب العزة[1].

هل يلزم العاصي أن يدعو غيرَهُ إلى الخير؟

السؤال: إذا كان المؤمن لا يقوم بفعل الخيرَ بنفسه ولا يعمل الصالحات فهل يلزم عليه أن يَدعوَ غيرَهُ لذلك؟

الجواب: إن كانَ الشخصُ لا يفعلُ الخيرَ بنفسه، ولكنّهُ يدعو غيرَهُ إلى فعلِ الخير، فهذا جائزٌ، بل قد يكونُ واجبًا في بعضِ الأحوالِ: كأن يكونَ هو نفسهُ مُقصّرًا في اجتنابِ المعاصي، ويرى شخصًا آخرَ يرتكبُ المعصيةَ، ويظنُّ غالبًا أنّهُ لو نصحهُ تركَ المعصيةَ ففي هذه الحالةِ يصبحُ عليه واجبًا أن ينصحهُ ويمنعهُ من الوقوعِ في الإثمِ. (ومع ذلك، كما أن نصح الآخرين بترك المعاصي ضروري، فكذلك من الضروري أن يحفظ الإنسان نفسه من المعاصي)[2].

وإن لم ينصحْهُ ويمنعْهُ عن الإثمِ، فإنه يتحمّلُ وزرَين: أحدُهما وقوعُه في المعصيةِ، والثاني التخلّي عن واجبِ النهيِ عن المنكرِ.

الخشوع في الصلاة: نتناول الطعام أولاً أم نصلي؟

السؤال: ماذا ينبغي أن يفعل الشخص إذا لم يجد الخشوع في الصلاة بسبب طعام الإفطار؟

الجواب: الأطعمة مثل الكباب والسمبوسة ونحو ذلك (حسب البلد) أصبحت جزءًا من المائدة الرمضانية، وتناولها عند الإفطار ليس بمعصية، ولو أفطرنا على الماء فقط ولم نخشع في الصلاة بسبب الجوع، فيستحب لنا أن نأكل أولاً إذا كان الطعام حاضراً، ثم نصلي، وبالعكس أيضاً إذا وجدنا الخشوع بتأخير الطعام، فالأفضل أن نصلّي أولاً[3]. ولذا قال ابن عابدين في حاشيته: إذا حضر الطعام وتاقت نفسه إليه، فعليه أن يأكل الطعام أوّلًا، ثمّ يصلّي[4].

أعمال تفطر الصائم معنويًا وتذهب فائدة صيامه

السؤال: هل تؤثر الغيبة، والكذب، والنميمة على الصيام؟

الجواب: تؤدي هذه الأفعال إلى حرمان الكمال في الصيام وبركته، وهي في الأصل محرّمة تؤدي إلى النار، فينبغي البعد عنها في جميع الأوقات، سواء في حال الصيام أو الإفطار، إلا أن حرمتها تكون أشدّ ضررًا وحرمةً مع الصيام[5].

حكم الاعتقاد بأن فلاناً يؤثر بنظره؟

السؤال: ما حكم من يعتقد أو يظن بأن شخصاً معينا كلما التقى به يصيب بعينه ويحسد، فهل يحاسب الظانّ على ذلك؟

الجواب: لا شك أنه إذا علم بأنّ فلانًا يصيب بالعين إذا التقى به، وإن هذا سيؤذيه نفسيًا ويجرح مشاعره، وقد يجعله يفكر بأنه فلاناً منحوس أو مصدر شؤم، لذا، هذا النوع من الظنون غير مقبول شرعًا لأن فيه إساءة للآخرين[6].

وسائل التحكم في الغضب

السؤال: هل من طريقة للسيطرة على الغضب؟

الجواب: الغضب شعور يسيطر على الإنسان، ولكنه بسب عدم ضبط التصرفات عند الغضب قد يقع في المعصية والمخالفة، وهناك عدد من الطرق للسيطرة على الغضب المذموم، ومنها:

الصمت عند الغضب، الاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، اللجوء إلى الوضوء، الجلوس إنْ كان واقفًا، الاضطجاع إنْ كان جالسًا، وأن يلصق نفسه بالأرض، فهذه الأمور معينة على التخلّص من الغضب إنْ شاء الله تعالى[7].

---

(1) (المذاكرة المدنية: 27 صفر 1441 هـ). (2) (المذاكرة المدنية: 18 جمادى الأولى 1445 هـ). (3) (ملفوظات أمير أهل السنة: 2/367-368، تعريبًا من الأردية). (4) (رد المحتار: 2/349، ملخصًا). (5) (ملفوظات أمير أهل السنة: 2/379، تعريبًا من الأردية). (6) (ملفوظات أمير أهل السنة: 2/779، تعريبًا من الأردية). (7) (ملفوظات أمير أهل السنة: 2/279، تعريبًا من الأردية).

https://www.arabicdawateislami.net/

الشيخ عادل ديري
عضو إدارة الشؤون العربية

الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله وخدماته في الفقه الحنفي

نشأ الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله وترعرع في بيت كان أهله منشغلين بالعلم من الأجداد حتّى الأحفاد، فوالده وجدُّه كانا من كبار أهل العلم والتّقوى، ولهم دورٌ مهمٌ في علوم القرآن والحديث والفقه والإفتاء والتّصوف، وكانوا أيضًا من أهل المال والجاه، فجميع هذه الأمور كان لها دورٌ مهم في نشأته، فمنذ نعومة أظفاره بدأ بحفظ المتون وعلوم العربية[1]، حتّى أتقن العربيّة وهو لم يُتم عشر سنين، وجلس للتّدريس والإفتاء وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر، وبعد أن تخرّج بدأ بالتّصنيف والتّأليف في أنواع مختلفة من العلوم حتّى برع في خمسة وخمسين علمًا، وقد أذن له والده بأن يُفتي من دون أن يرجع له لشدّة تمكّنه من العلوم.

وكان الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله موهوبًا في العلوم كلها، وتميزت أعماله بطابع موسوعي جعله مرجعًا معتبرًا، وإنجازاته الفقهية تعكس عمق معرفته وإحاطته بالأدلة والأصول والقواعد الشرعية ودقة الاستنباط للأحكام، فأظهر أحمد رضا خان رحمه الله تعالى قدرة فائقة على الجمع بين استيعاب التراث الفقهي الغني الذي تركه الفقهاء السّابقون والقدرة على معالجة المسائل الفقهية المعاصرة والنّوازل بأسلوب علمي دقيق، تميزت منهجيته بالاعتماد على النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الاستفادة من مصادر الفقه المعتبرة لدى المذاهب الأربعة، وبالأخص المذهب الحنفي الذي كان محور اهتمامه كونه حنفي المذهب، ونشأ في بلاد أهلها ينتمون للمذهب الحنفي، والصنعة الفقهية عنده لم تكن مجرد نقل أو تلخيص لما في كتب الفقهاء، بل كانت استقراءً وتحقيقًا عميقًا للنصوص الشرعية، وتوظيفًا لأصول الفقه في استنباط الأحكام المتعلقة بالنوازل والمستجدات.

قد جمع في كتابة فتاواه بين أصالة المذهب الحنفي الذي كان يتبناه، وبين مرونة تطبيق القواعد الفقهية بما يراعي الظروف الزمانية والمكانية لمجتمعه، وكان يدرك أن الفقه ليس علمًا جامدًا، بل هو علم يتفاعل مع واقع الأمة الإسلامية وتحدياتها، لذلك، اهتم في كتاباته الفقهية بتوضيح الأحكام المتعلقة بقضايا جديدة ظهرت في زمانه، وتُعدّ فتاواه في هذه المجالات دليلًا على رؤيته المتوازنة التي تجمع بين الالتزام بالنصوص الشرعية والانفتاح على متغيرات العصر، وأسلوبه الفقهي تميز بالتحليل والتفصيل، حيث اعتمد منهجية دقيقة تبدأ ببيان النصوص الأصلية المتعلقة بالمسألة، ثم استعراض آراء العلماء السابقين فيها، مع الإشارة إلى الأقوال المختلفة ومناقشتها على أسس أصولية، فهذه الصنعة الفقهية الدقيقة أكسبت كتاباته موثوقية عالية، ليس فقط بين العلماء والفقهاء، بل أيضًا بين العامة الذين وجدوا فيها إجابات شافية، وإحدى أبرز سمات الصنعة الفقهية عند الشيخ أحمد رضا خان الهندي رحمه الله هي دقته في صياغة الأحكام، وحرصه على تجنب التناقض أو اللبس، وهو ما يظهر بوضوح في كتاباته الفقهية الشهيرة مثل "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" وفي حاشيته "جد الممتار على رد المحتار"، فالصنعة الفقهية عنده رحمه الله تعكس الجمع بين العمق العلمي والوعي بمتطلبات الواقع، من أجل ذلك أسهمت منهجيته في تجديد الفقه الإسلامي في الديار الهندية حتى أصبحت مرجعًا للعديد من العلماء المعاصرين، والأمور التي تدل على ملكته الفقهية عديدة وكثير منها:

https://www.arabicdawateislami.net/

1 اجتهاداته في النّوازل.

2 استخدام العلوم المتنوّعة لإيضاح المسائل الفقهيّة.

3 استخراج الفروع الفقهيّة مستمدًا إيّاها من الأصول.

4 إشارات إلى بعض الفوائد واللطائف.

5 البحوث والتحقيقات الّتي لم يُسبق إليها.

6 التّرجيح في حال الاختلاف في التّصحيح والفتوى.

7 التّنبيه على بعض مواقف الفقهاء المتقدّمين.

8 توفير الأدِلّة وتكثيرها لتقوية المسائل.

9 حل الإشكالات ودفع الإيرادات.

10 سعة اطلاعه على الفقه ودقة النظر فيه.

11 محاولة التّوفيق بين الأقوال المتعارضة.

12 سعة النظر في علم الحديث مع قوة الاستنباط والاستدلال.

ولو نظرنا في مؤلّفاته لرأينا هذه الأمور جليّة واضحة، والأمثلة عليها وافرة، وهذا الشّيء يدل على أنّه لم يكن مجرد ناقل عن الفقهاء السّابقين فحسب، بل كانت له مكانته الفقهية ونظرته الاجتهادية.

فاعتُبر الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله أحد كبار الفقهاء المجتهدين في المسائل التي لم يرد فيها نصٌّ عن الإمام؛ لإضافته الآراء المعتبرة، وما قدّم من البحوث والتّصانيف الكبيرة، فبلغ عدد مؤلّفاته في الفقه أكثر من مائتين، جميعها يدلّ على علمه وتمكّنه وعبقريّته وكثرة اطّلاعه ومدى استنباطه، فكان ينظر إلى علم الفقه نظرة مهابة وتشريف وإجلال؛ لأنّ مقاصد الشرع تتجلّى في هذا العلم، فقضى معظم حياته في دراسة وتدريس هذا العلم والتأليف فيه والإفتاء به، فأعظم وأكبر مؤلفات الإمام كانت في الفقه الحنفي، وبقي يُفتي النّاس ما يزيد على أربع وخمسين سنة، وذُكر أنّ الّذين انتفعوا بفتاوي الإمام يشكّلون ربع طلاب العلم والعلماء[2]، والمقصود بهذا ربع طلاب العلم والعلماء في شبه القارة الهندية. من شدّة تمكنه من الفقه كان مستحضرًا للمسائل وأدلّتها وطرق استنباطها في ذاكرته، فكان يكتب الفتاوي بأدلّتها وتفاصيلها من دون الرجوع إلى الكتب الفقهية، وتبحُره لم يكن مقتصرًا على المذهب الحنفي فقط، بل كان صاحب اطّلاع على المذاهب الفقهيّة الأخرى ملمًا بها، حتّى وصَل إلى مرتبة مجتهد في المسائل الّتي لم يرد فيها نص عن الإمام، فاجتهد في الأصول والفروع ضمن قواعد الإمام أبي حنيفة، وكتابه "الفتاوى الرضوية" يبرهن لنا ذلك، ومن المسائل الّتي كان له اجتهاده الخاص بها مسألة تقسيم الأحكام الشّرعية، فقد قسّم الفقهاء السّابقون الأحكام إلى سبعة أقسام، وهي: الفرض، الواجب، المستحب، المباح، الحرام، المكروه التحريمي، المكروه التنزيهي، ولكنّ الشيخ أحمد رضا خان رحمه الله أضاف "أربعة" عليها فكان له تقسيمه الخاص وهو: الفرض، الواجب، السنة المؤكدة، السنة غير المؤكدة، المستحب، المباح، الحرام، المكروه التحريمي، الإساءة، المكروه التنزيهي، خلاف الأولى[3].

ولذلك قال السّيد إسماعيل بن خليل الحنفي أمين مكتبة الحرم[4] بعد أن اطلع على عدة أبحاث من الفتاوى الرضوية:

"شيخ الإسلام بلا مدافع ووحيد العصر بلا منازع شيخنا وأستاذنا وملاذنا وقدوتنا وعمدتنا ليومنا، والله أقول والحق أقول: إنَّه لو رآه أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى لقرّت عينه ولجعل مؤلفها من جملة الأصحاب"[5].

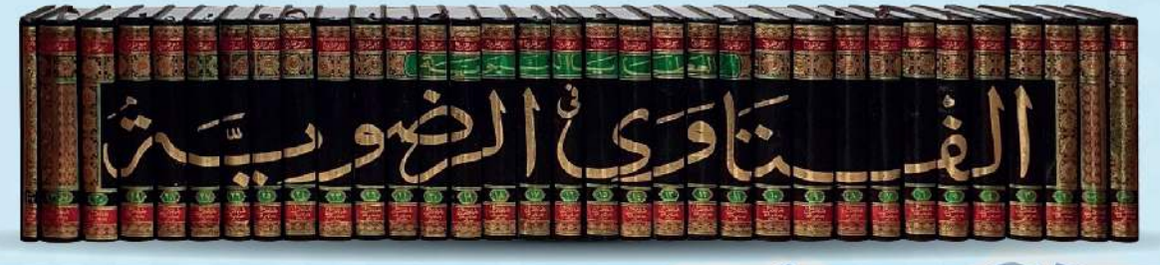

https://www.arabicdawateislami.net/

عند التأمل في مؤلفاته، نجد هذه المعاني بارزة وظاهرة بوضوح، والأمثلة عليها كثيرة ومتنوعة. وهذا يدل على أنه لم يكن مجرّد ناقل عن الفقهاء السابقين، بل كان يتمتع بمكانة فقهية راسخة ونظرة اجتهادية متعمقة، وكتب الإمام ومصنفاته في العلوم الفقهية كثيرة منها:

1. أجل التحبير في حكم السماع والمزامير.
2. أذان من الله لقيام سنة نبي الله.
3. أزين كافل لحكم القعدة في المكتوبة والنوافل.
4. أعالي الإفادة في تعزية الهند وبيان الشهادة.
5. إعلام الأعلام بان هندوستان دار الإسلام.
6. إمام الكلام في القراءة خلف الإمام.
7. الأمر باحترام المقابر.
8. التحرير الجيد في حق المسجد.
9. جد الممتار على رد المحتار.
10. الجلي الحسن في حرمة والد اللبن.
11. الجوهر الثمين فيما تنعقد به اليمين.
12. الخطوط الإسلامية للاقتصاد الإسلامي.
13. خير الآمال في حكم الكسب والسؤال.
14. الطيب الوجيز في أمتعة الورق والإبريز.
15. غاية الاحتياط في جواز حيلة الاسقاط.
16. كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم.
17. مفاد البحر في الصلاة بمقبرة أو جنب قبر.
18. النور والضياء في حكم بعض الأسماء.
19. الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية.
20. تدبير الفلاح والنجاة والإصلاح.
21. اَلْمُنَى وَالدُّرَرْ لِمَنْ عَمَدَ مَنِيْ آزْدَرْ.

وغيرها العديد من الكتب والرسائل والحواشي الّتي يزيد عددها عن ثلاثمائة، وهذه الكتب والرسائل منها ما ألف باللغة العربية ومنها ما ألف باللغة الأردية، وما ألف باللغة العربية ترجم بعضه للّغة الأردية وما ألف باللغة الأردية ترجم بعضه للّغة العربية، وكان الإمام أحمد رضا خان رحمه الله كلّما شرع بقراءة كتاب في الفقه أو في غيره من العلوم كتب عليه الحواشي والفوائد، فمن حواشيه الّتي كتبها على كتب الفقه: حاشية البحر الرائق، حاشية بدائع الصنائع، حاشية تبيين الحقائق، حاشية فتح القدير، حاشية كتاب الخراج، حاشية جامع الرموز، حاشية جامع الفصولين، حاشية الجوهرة النيرة، حاشية درر الأحكام، حاشية رسائل الشامي، حاشية العناية، وغيرها العديد من الحواشي ولكن يأتي في مقدمة هذه الحواشي وأهمها حاشيته على "در المحتار لابن عابدين".

الشيء الذي جعل هذه الحاشية الأخيرة متميزة على غيرها من الحواشي أمور عدة، من أهمها: أنها مكتملة من بداية الكتاب حتّى نهايته بالإضافة إلى توفّر النسخ، والعناية من المحشي بهذه الحاشية.

في الختام!

يمكن القول بأن الإمام أحمد رضا خان الحنفي الهندي رحمه الله كان من أبرز العلماء الذين أثّروا في الفقه الحنفي وأرسوا قواعد جديدة في مجاله، فلم يكن فقط حافظًا للتراث الفقهي، بل كان مجتهدًا مبدعًا في تطويره، فاستطاع الجمع بين الأصالة والمرونة في اجتهاداته الفقهية، مما جعله مرجعًا معتبرًا للعديد من العلماء، بمؤلفاته المتنوعة، سواء في الفقه أو في العلوم الأخرى، وهذا يدل على سعة اطلاعه وعمق فكره، كما أن فتاواه المميزة تبرز قدرته الفائقة على استنباط الأحكام في ضوء متغيرات العصر.

ولقد ترك الإمام أحمد رضا خان رحمه الله بصمة لا تُمحى في تاريخ الفقه الحنفي، وأصبح علمه مرجعًا لمن بعده مما يجعله أحد أعلام الفقه الذين يجب أن يُحتذى بهم في كل زمان ومكان.

(1) (من أقطاب الأمة في القرن العشرين لمحمّد خالد ثابت: صـ 18). (2) (العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية مقدمة المجلد الأول: 51/1). (3) (العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية: 173/1-175). (4) كان الشيخ السيد رحمه الله تتلمذ عند الشيخ عبد الحق المهاجر إله آبادي، كان من أجلة علماء الحرم الشريف، والمجاز من الإمام أحمد رضا خان، وسافر سنة 1328 هـ إلى الهند لزيارة الشيخ المجدد الإمام أحمد رضا. (تذكرة خلفاء أعلى حضرة: صـ 35، تعريبًا من الأردية) (تاريخ الدولة المكية: صـ 104، تعريبًا من الأردية).. (5) (الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة: 57-58).

https://www.arabicdawateislami.net/

محمد أحمد رضا العطاري المدني
أستاذ الحديث وعضو قسم الكتب الدراسية في مركز البحوث والدراسات الإسلامية

جهود علماء الهند

الدخيل في التفسير

الجزء الثاني والأخير

إنّ حقل تفسير القرآن الكريم خصب واسع وشامل لكل ما تضمنه من عقيدة وإيمان وشرائع وأحكام وآداب وقيم تبني كيان الإنسان، وفن التفسير هو محض توفيق، وصاحبه ذو ذوق رفيع؛ إذ أنّه كلما خاض فيه ازداد معرفة وإحاطة به، وأخرج منه لطائفه، فلا يمكن لأحد أن يتناول جوانبه كافّة، ولذا المتتبّع لفن التفسير يجد بعدًا في منهجية المفسرين أو طابعًا مختلفًا ما بين الواحد والآخر، وقد ينقسم تفسير القرآن الكريم إلى قسمين: المحمود والمذموم.

التفسير المحمود:

تفسير الصحابة والتابعين، وتفسير الذين اعتمدوا على أقوالهم بالأسانيد الصحيحة، وتفسير أهل الرأي الموافق، الذين جمعوا بين المأثور الصحيح مع حذف أسانيده وبين آرائهم العلمية المعتدلة.

التفسير المذموم:

هو التفسير من غير تأهّل له بالعلوم التي لا بد منها للمفسّر بأن يفسّر القرآن حسب هواه ومقتضى مذهبه الفاسد، مع جهله بمعرفة اللغة العربية أو التشريعات الإلهية، أو يحمل كلام الله تعالى على معنى لا يليق به، كتفسير أهل الأهواء والبدع وهو التفسير المردود.

فيجب على المفسّر ملاحظة أن القرآن كتاب هداية وإعجاز، وأن يجعل هدفه الأعلى ومقصده الأسمى إظهار هدايات الله من كلامه، مع بذل غاية الوسع في البحث والاجتهاد والمبالغة في تحرّي الحقّ والصواب، وتجريد النفس من الهوى مع مراقبة الله غاية المراقبة في كل ما يقول.

قد دخل في التفسير بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين "الخلل والتزييف ما دخل العلوم كلها من أدعياء كذبة"؛ فلذا يجب الحذر في رواية تلك المرويات؛ لأن الصحيح منه قليل، والضعيف والموضوع فيه كثير، وقد أضيفت إلى هذه الضِعاف الأقوالُ البَاطلة المُخِلّة بالعقيدة، وهذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية، ورواتها مجاهيل، قال الإمام الشافعي: لم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنه في التفسير إلا شبيه بمائة حديث [1].

بيان أَوْهَى الأسانيد في التفسير:

لقد قام العلماء المحدّثون النقّاد بنقد الرواة والطرق التي رويت بها هذه التفاسير تفصيلاً وتنصيصًا، فقد تكلّموا في كثير من المرويات المنسوبة إلى ترجمان القرآن؛ لأن الطرق إليه مشتبهة، وقلّما تصحّ النسبة إليه، وهذا الأمر جعل نُقّاد الأثر ورواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات التى جاوزت الحد وقفة المرتاب، فتتبّعوا سلسلة الرواة فعدّلوا العُدول، وجرّحوا الضُعفاء، وكشفوا للناس عن مقدار هذه الروايات قوة وضعفًا، وبهذا يظهر دور اعتناء علماء الحديث والأسانيد في علم التفسير وأهمية معرفة الطرق الضعيفة في التفسير المروي عن أصحابه مثل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره من الرواة المعروفين، وقد تكلم الإمام السيوطي قدس الله سره عن الطرق الضعيفة في التفسير حيث قال: وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيرا ما يُخرّج منها الثعلبي والواحدي، ولكن قال ابن عدي في "الكامل": للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع.

https://www.arabicdawateislami.net/

وبعده مقاتل بن سليمان إلا أن الكلبي
يُفضّل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة، وطريق
الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه،
فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر،
وقد أخرج من هذه النسخة[2] كثيرًا ابن جرير وابن أبي حاتم، وإن كان من رواية جويبر
عن الضحاك فأشد ضعفًا، لأن جويبرًا شديد الضعف متروك.

كيفية التعامل مع هذه التفاسير الجامعة للصحيح والعليل:

لا يخطر ببالك أو يذهب وهمُك من الكلام السابق إلى أن أكثر التفاسير غير معتمدة، فتترك كلها وتضرب بها عرض الحائط، أو يوسوسك قلّة الفهم أنا لا نكترث للتفسير، ولا نلقي له بالاً، ولا نسلم له خيره، وليس قصدُنا في هذا الكلام أن نبطل كل كلامهم بل إذا وجدنا كلامًا صحيحًا قبلناه ولو كان في كتاب غير معروف بالصحة، وإن وجدنا في كتاب معروف كلامًا باطلاً تركناه.

وقد تحدّث الإمام أحمد رضا الهندي رحمه الله عن أحوال أكثر كتب التفسير وكيفية التعامل مع هذه التفاسير الجامعة للصحيح والعليل حيث قال: إن غالب الزُبُر المتداولة لا تسلم من الدخيل، وتجمع من الأقوال كل صحيح وعليل، فمجرد حكايتها لا يوجب التسليم، ولا يصدّ الناقد عن نقد السقيم، فما هي عندنا أسوأ حالاً من أكثر كتب الأحاديث؛ إذ نعاملها مرّة بالتّرك، وأخرى بالاحتجاج لما نعلم أنها تَرِد كل مورد، فتحمل تارة عذبًا فراتًا، وتأتي مرة بملح أجاج، وبالجملة فالأمر يدور على سلامة الحديث سندًا ومتنًا فأينما وجدنا الرطب اجتنينا، وإن كان في منابت الحنظل، وحيثما رأينا الحنظل اجتنبنا، وإن نبت في مسيل العسل.

لقد علمت أن أكثر هذا الداء العُضال، إنما دخل التفاسير من باب الإعضال [3]، وفي أمثال تلك المحال إذا لم يعرف السند يؤول الأمر إلى نقد المقال، فما كان منها يناضل النصوص، ويرُدّ المنصوص، أو فيه إزراء بالرسل والأنبياء، أو غير ذلك مما لا يحتمل، علمنا أنه قول مغسول، وإن كان بريئًا من الآفات، نقيًا من العاهات، قبلناه على تفاوت عظيم بين قبول وقبول[4].

فهناك فرق عظيم بين قبول قول بلا سند لكونه برئيًا من الآفات، وبين قبول قول وارد بسند صحيح، فيجب التحرّي لمعرفة مدى صحة الروايات وتحذير الناس من الإسرائيليات والواهيات لما لها من آثار خطيرة فى التفسير، بل فى العقيدة ذاتها؛ لأنها تصور الإسلام على أنه دين خرافات وأوهام.

بيان ورود القصص الواهية في التفاسير وخطورتها في العقيدة:

وقد بيّن الإمام شناعة هذا الصنيع حيث قال: دع عنك هذا، ياليتهم اقتصروا على ذلك لكن بعضهم تعدوا ما هنالك، وسلكوا مسالك تجرّ إلى مهالك، فأدمجوا في تفسير القرآن ما تقف له الشعر، وتنكره القلوب، وتمُجُه الآذان إذ قرّروا قصص الأنبياء الكرام والملائكة العظام عليهم الصلاة والسلام بما ينقض عصمتهم، وينقص أو يزيل عن قلوب الجهّال عظمتهم كما يظهر على ذلك مَن راجع قصة آدم وحواء[5]، وداود وأوريا[6]، وسليمان والجسد الملقى[7]، والإلقاء في الأمنية والغرانقة العلى[8]، وهاروت وماروت وما ببابل جرى[9]، فبالله التعوذ، وإليه المشتكى.

فأصابهم في ذلك ما أصاب أهل السير والملاحم في نقل مشاجرات الصحابة، إذ جاء كثير منها مناقضًا للدين وموهنًا لليقين، وازداد دَخنًا على دخن، وهنات على هنات أن اطّلع على كلامهم بعض من ليس عنده أثارة من علم ولا متانة من حلم فضلّ وأضلّ، إما اغترارًا بكلماتهم جهلا منه بما فيه من الوبال البعيد والنكال الشديد، وإما ظلمًا وعلوًا لاجترائه بذلك على إبانة ما في قلبه المريض من تنقيص الأنبياء وتفسيق الأولياء فمضى عليه الكبير، ونشأ عليه الصغير فاختلّ دينٌ كثيرٌ من الناقصين، وصاروا شرًا من العوام العامّين، إذ لم يقدروا على مطالعتها فنجوا عن فتنتها.

هذا وقد قام العلماء الراسخون ضد هذا الوباء القاتل بدور كبير وبذلوا النصح للثقلين فشدّدوا النكير على كلا الفريقين: أعني التفاسير الواهية والسير الداهية، فأعلنوا إنكارها، وبينوا عَوَارها كالقاضي في "الشفاء"، والقاري في "الشرح"، والخفاجي في "النسيم"، والقسطلاني في "المواهب"، والزرقاني في "الشرح"، والشيخ في "المدارج"، وغيرهم في غيرها رحمة الله عليهم أجمعين[10].

https://www.arabicdawateislami.net/

خطورة دخول الأفكار الفلسفية في التفسير:

هناك حصلت المحاولة المنحرفة والطامّة الكبرى عند من أراد أن يفسّر القرآن الكريم بأسلوب الذي يحكّم الاصطلاحات العلمية والعقلية والمنطقية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها، وعلى نتيجة هذه المحاولة أضيفت إلى التفسير الأفكار المنحرفة المقتبسة من التراث اليوناني المأخوذة بمقولاته الفلسفية والمنطقية التى تتعارض مع الدين والإسلام ولا تتفق معه بحال من الأحوال، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث الفلسفة الدقيقة بالتفسير حتى طغت عليه، فغلبت عليه العلوم العقلية الفلسفية والفلكية والجانب العقلى على الجانب النقلى، ومثل هذه العبارات والأفكار الفلسفية يفضي لا محالة إلى طريق مليء بالمنعرجات التي تؤدّي إلى الهلكة، والناظر في مثل هذه الأقوال وإن كان بعضها غير قادح في عقيدة المسلمين فإن جلّها ينطوي على شبهات إذا خالطت العقلَ واليقين تفسده، فيصاب المشتغل بها بالحيرة والشك والاضطراب.

ولذلك نبّه الإمام أحمد رضا خان الهندي رحمه الله تعالى على هذا البلاء العظيم: كل من نظر في كتب التفسير وغيرها من الكتب الدينية حيث قال: اعلم أن هناك أقوامًا يعتريهم نزغة فلسفية لما أفنوا عمرهم فيها، وظنّوها شيئًا شهيًا، فيولعون بإبداء احتمالات بعيدة، ولو لم يكن فيها حلاوة ولا عليها طلاوة، حتى ذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[11] ما تعلقت به جهلة النصارى وآخرون ممن يتلجلجون في الإيمان، فيلهجون بكلمة الإسلام، وفي قلوبهم من بغض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكار معجزاته جبال عظام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا الذي أعيا السيوطي حتى تبرّأ عنها كلها، واقتصر على الإرشاد إلى تفسير ابن جرير، كما تضجّرا الذهبي عن خلاعة أكثر السير والتواريخ، فعافها عن آخرها، واطمأن إلى دلائل البيهقي قائلاً: (إنه النور كله).

قد دبّت هذه الفتنة الصّمّاءُ والبلية العمياء إلى كثير من متأخري المتكلمين الذين اشتدت عنايتهم بالتفلسف الخبيث، ولم يحصلوا بصيرة في صناعة الحديث حتى أنهم يذكرون في بعض المسائل فضلا عن الدلائل ما ليس من السنّة في شئ، وأما ما بينهم من قيل وقال وكثرة السؤال، والشُبه والجدال، فكن حذرًا ولا تسأل عن الخبر. أوّاه إلى الله الشّكوى.

فلقد بلغ الأمر إلى أن الناظر في تلك الكتب لا يكاد يعرف أن هذا مما جاء به أرسطو وأفلاطون أو ما جاء به محمد رسول الله ﷺ.

قد ثقل صنيعهم هذا على العلماء المحتمين للدين حتى أن الإمام العالم العامل بعلمه سيدي الشيخ المحقق لّما رأى ذلك منهم في مسألة المعراج لم يتمالك نفسه أن أغلظ القول فيهم إلى أن سمّاهم ضالّين مضلّين، ولم يكن بدعًا في ذلك بل سبقه في إقامة الطامة الكبرى عليهم أئمة تشار إليهم بالبنان، وتقوم بهم أركان الإيمان كما فصّله الملّا علي القاري في "شرح الفقه الأكبر".

ومن هذا القبيل ما ذكره بعضهم في مشاجرات الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذ نسب القول بتفسيق كثير منهم حتى بعض العشرة المبشرين أيضًا إلى كثير من أهل السنة والجماعة، وهم والله! ما قالوا ولا أذنوا، فالحق: إن الدين لا يقوم إلا بالحديث، والحديث مضلّة إلّا للفقيه[12]، (هو من كلام ابن عيينة أو غيره ومعناه أن الحديث كالقرآن في أنه قد يكون عام اللفظ خاص المعنى وعكسه، ومنه ناسخ ومنسوخ ومنه ما لم يصحبه عمل ومنه مشكل يقتضي ظاهره التشبيه كحديث: ((ينزل ربنا))..إلخ) والفقه لا يحصل باتباع الشُبه، وتحكيم العقل السفيه، نجانا الله والمسلمين عن شرّ الجهل وشرّ العلم فان شرّ العلم أدهى وأمرّ.

أخيرًا! إنما أطنبنا الكلام في هذا المقام حفظًا على السنن وكراهةً للفتن أن تُروّج على المؤمنين أو ترعرع إلى الدّين، فيفسد اليقين، ألا فعضّ عليه بالنواجذ فالنصيح غير مفتون، وإياك أن تخالفه، وإن أفتاك المفتون[13].

فنسأل الله الحيّ القيوم أن يلهمنا رشدنا ويزيل بعلمه جهلنا وأن ينور قلوبنا وأفهامنا بنور معرفة القرآن وأن ينفع به من طالعه بقلب سليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1) (الإتقان في علوم القرآن: 1232/2).

(2) قوله: [النسخة] سلسة السند أو الطريق، وليس المراد منه نسخة الكتاب.

(3) "أعضل الأمر" إذا اشتد واستغلق، وفي الاصطلاح: صورة من صور السقط في الإسناد، وأما المراد هنا ترك الأسانيد مطلقًا.

(4) (الأنوار الرضوية في القواعد التفسيرية للإمام أحمد رضا خان: ص 197-198).

(5) انظر: التوراة سفر التكوين، الإصحاح الثالث؛ لتزداد يقينًا أنه من الإسرائيليات، وليس منه شيء عن المعصوم ﷺ.

(6) قال الإمام النسفي: ما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة وأحبّ أن يقتل ليتزوّجها، فلا يليق من المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء. (تفسير المدارك: ص 1018).

(7) قال الإمام النسفي: وأمّا ما يُروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود. (تفسير المدارك: ص 1022).

(8) ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيْٓ اُمْنِيَّتِهٖ﴾. [الحج: 52] ألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى»، وهذه القصة لا تثبت من جهة النقل والعقل. انظر للتفصيل (الإسرائيليات والموضوعات: ص 314-319).

(9) قوله: [وهاروت وماروت] كل هذا من خرفات بني إسرائيل، وأكاذيبهم، قد حكم بوضع هذه القصة الإمام ابن الجوزي، وقال الإمام الآلوسي: نصّ الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما: فهو كافر بالله. [روح المعاني] والسبب في نزولهما هو تعليم الناس أبوابًا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة، وقد احتاط الملكان، فما كانا يُعلّمان أحدًا شيئًا من السحر حتى يُحذّراه، ويقولا له: إنما نحن فتنة أي بلاء واختبار، فلا تكفر بتعلمه والعمل به. (الإسرائيليات والموضوعات والفتاوى الرضوية: 397/26).

(10) (الأنوار الرضوية للإمام الهندي: ص 190-194).

(11) [القمر:1]. (12) لا يعرف معنى هذه إلا الفقهاء بخلاف من لا يعرف إلا مجرد الحديث فإنه يضل فيه كما وقع لبعض متقدمي الحديث بل ومتأخريهم، وبهذا يعلم فضل الفقهاء المستنبطين على المحدّثين غير المستنبطين ومن ثم قال: رب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. (الفتاوى الحديثية: ص 373). (13) ("الأنوار الرضوية" للإمام الهندي: ص 195-196) وجُل هذه المباحث مأخوذة من "الأنوار الرضوية" للإمام أحمد رضا الهندي المطبوعة مع الفوز الكبير.

https://www.arabicdawateislami.net/

إدارة الشؤون العربية

فضائل الصيام وفوائده وأحكامه

الصوم هو التعبّد لله عز وجل بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس كما قال الله تعالى:

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[1].

فهو من أعظم أركان الدين وأوثق قوانين الشرع المتين، به قهر النفس الأمارة بالسوء، وهو مركب من أعمال القلب، إلى جانب المنع عن المآكل والمشارب والمناكح عامّة يومه، وهو أجمل الخصال غير أنه أشق التكاليف على النفوس[2].

قد جعله الله سبحانه وتعالى أحد أركان الإسلام الخمسة، وأخبر جل وعلا أنه لا غنى للأمم عنه، لما فيه من فوائد جمة تشتمل على تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، وإحياء مشاعر الرحمة والعطف على الفقراء والمحتاجين.

فالصوم ليس مجرد حبس النفس عن الطعام والشراب، بل هو رحلة روحية عميقة تقرّبنا من الله تعالى وتزكّي نفوسنا، ففي هذه الرحلة نفطم أنفسنا عن الشهوات المألوفة ونُعِدّها لطلب السعادة الحقيقية والنعيم الأبدي.

مفهوم الصيام:

هو عبارة عن ترك الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله[3].

فرضية الصيام:

لقد ثبتت فرضية الصيام بكتاب الله العزيز والسنة النبوية الشريفة وإجماع الأمة وبالمعقول أيضًا[4].

https://www.arabicdawateislami.net/

فرضية الصيام في كتاب الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[5].

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[6].

فرضية الصيام بالأحاديث النبوية الشريفة:

قال رسول الله ﷺ:

بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:
شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
وَإِقَامِ الصَّلَاةِ،
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،
وَالحَجِّ،
وَصَوْمِ رَمَضَانَ[7].

فرضية الصيام بإجماع الأمة:

أجمع العلماء على فرضية صوم رمضان وأنه ركن من أركان الإسلام كما قال الإمام علاء الدين الكاساني رحمه الله تعالى في بدائع الصنائع: إن الأمة أجمعت على فرضية شهر رمضان، لا يجحدها إلا كافر[8].

فرضية الصيام بالمعقول:

ثبتت فرضية الصيام بالمعقول من وجوه متعددة منها: أن الصوم وسيلة إلى شكر النعمة ومنها أنه وسيلة إلى التقوى، ومنها أن فيه قهر الطبع، وكسر الشهوة لأن النفس إذا شبعت تمنت الشهوات، وإذا جاعت امتنعت عما تهوى[9].

متى فرض الصيام:

فرض الصيام في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة قبل وقعة بدر، وعليه فإن النبي ﷺ صام تسع رمضانات[10].

وقال العلامة الماوردي رحمه الله تعالى: أول ما فرض بالمدينة من العبادات بعد فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان في الثانية من الهجرة في شعبان[11].

الحكمة من فرضية الصيام:

فرض الله تعالى الصيام لحكم بالغة، فهو عبادة عظيمة تقرّب العبد من خالقه تعالى، وتنمي فيه مشاعر الإيمان والتقوى، لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال طمعاً في مرضاة الله، وخوفاً من أليم عقابه، فمن باب أولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سبباً للتقوى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[12].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان؛ إلخ[13].

والتقوى هي ما عرفها طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رحمه الله تعالى بقوله: التَّقْوَى الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعَاصِي اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ مَخَافَةَ عَذَابِ اللَّهِ[14].

ولهذا قال النبي ﷺ: **مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**[15].

شروط الصوم:

فهي على ثلاثة أنواع:

1. **شروط لوجوب الصوم:**
   - الإسلام
   - العقل
   - البلوغ
   - العلم بالوجوب لمن أسلم بدار الحرب
2. **شروط لوجوب أداء الصوم:**
   - الصحة من مرض وحيض ونفاس
   - الإقامة
3. **شروط لصحة أداء الصوم:**
   - النية
   - الخلو عما ينافيه من حيض ونفاس وعما يفسده[16].

فلا يجب الصيام على الكافر ولا على المجنون ولا على الصبي ولا على المسافر على الفور، وإن صام الصبي المميز والمسافر صح صومهما مع أنه لا يجب عليهما، وكذلك يسقط وجوب أدائه عن المسن الكبير العاجز عن الصوم وعن المرأة في أيام الحيض والنفاس ويُرخص للمريض والمرأة في أيام الحمل والرضاع في بعض الأحيان ويجب على الجميع القضاء أو الفدية ولكل واحد منهم حكم خاص في كتب الفقه.

https://www.arabicdawateislami.net/

أنواع الصيام:

والصوم على ستة أنواع:

1 صوم الفرض: وهو على نوعين:

المعين: هو ما له وقت معين كصوم رمضان

غير المعين: هو ما له وقت غير معين

- جزاء الصيد
- فدية الأذى في الإحرام
- صوم الكفارات بأنواعها، مثل كفارة اليمين، والقتل، والظهار، وفدية الأذى في الإحرام وغيرها لثبوت ذلك بالأدلة القطعية من القرآن والإجماع[17].

2 صوم الواجب:

- وهو صوم المنذور المطلق والمعين[18].
- قضاء ما أفسده من نفل[19].
- إتمام صوم النفل بعدما شرع فيه[20].
- صوم الاعتكاف المنذور، كأن نذر أن يعتكف خمسة أو ستة أيام فيجب أن يصومها وهو في اعتكافه[21].

3 صوم المسنون:

وهو صوم اليوم التاسع مع العاشر في المحرم[22].

4 صوم المندوب:

صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ويندب فيها كونها الأيام البيض، ونُدِب كل صوم ثبت بالسنة طلبه والوعد عليه كصوم داود عليه الصلاة والسلام[23].

5 صوم النفل:

ما سوى ذلك مما لم تثبت كراهته[24].

6 الصوم المكروه: وهو على نوعين:

المكروه تنزيهًا:

- عاشوراء مفرداً عن التاسع والحادي عشر
- صوم يوم السبت مفردا
- صوم الدهر
- صوم السكوت
- صوم يوم النيروز مفردا (وهو عيد رأس السنة الفارسية والسنة الكردية)
- صوم يوم المهرجان مفردا (وهو أحد الأعياد القديمة للفرس)

المكروه تحريمًا:

- صوم أيام التشريق
- صوم العيدين[25]

درجات الصيام:

للصوم ثلاث درجات:

1. صوم العموم: وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة
2. صوم الخصوص: ويزيد على الأول بكف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام
3. صوم خصوص الخصوص: ويزيد على ما سبق بصوم القلب عن الهمم الدَّنِيَّة وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللهِ عز وجل بالكلية[26].

فضائل الصيام ومنافعه:

إن مصالح الصوم مشهودة للعقول السليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم وإحسانا إليهم وحمية وجُنّة لهم وللصيام فضائل عديدة ومنافع كثيرة منها:

https://www.arabicdawateislami.net/

فضائل الصيام:

1. أنه من أفضل الأعمال
2. أنه يشفع يوم القيامة لصاحبه
3. أنه جُنّة من شهوات الدنيا
4. أنه أضيف إلى الله تعالى تشريفا لقدره
5. أنه سبب لمضاعفة الحسنات
6. أنه سبب لرفع الدرجات
7. أنه سبب لاستجابة الدعاء
8. أنه سبب لمغفرة الذنوب
9. أنه سبب لدخول الجنة
10. أنه سبب لطهارة القلب
11. أنه سبب لحصول أجر الصبر
12. أنه سبب لطيب خلوف فم الصائم
13. أن فيه مباهاة الله تعالى الملائكة بعباده الصائمين
14. أنه سبب فرحتين للصائم (فرحة عند فطره وفرحة عند لقائه بربه)
15. أنه يوجد باب في الجنة خاص لا يدخل منه غير الصائمين.....وغير ذلك الكثير.

وكل ذلك ثابت في كتاب الله عز وجل أو في الأحاديث النبوية الشريفة.

فوائد الصيام:

الصوم هو قهر للشيطان اللعين؛ لأن وسيلته الشهوات، والشهوات تتقوى بالأكل والشرب، بينما تنكسر بالجوع، ويحتوي الجوع على فوائد كثيرة، منها ما ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين"؛

1. صحة البدن ودفع الأمراض
2. تيسير المواظبة على العبادة
3. دفع النوم ودوام السهر
4. تذكر بلاء الله وعذابه
5. تمكين العبد من الإيثار والتصدق
6. صحة القلب وصفاء الذهن
7. صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة
8. الانكسار والذل، وزوال البطر، والفرح، والأشر.
9. كسر شهوات المعاصي والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء
10. خفة المؤونة

فهذه عشرة فوائد، يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها، ولا تتناهى فوائدها، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة، ولأجل هذا قيل: البطن والفرج باب من أبواب النار، وأصله الشبع، والذل والانكسار باب من أبواب الجنة، وأصله الجوع، ومن أغلق بابًا من أبواب النار فقد فتح بابًا من أبواب الجنة[27].

أخيرا!

من يفهم حقيقة الصيام، يدرك يقيناً أنه حاملٌ لفوائد عظيمة جليلة، لا يُمكن إنكارها أو التشكيك في أهميتها الحيوية ومن حكمة الله في شرع الصيام، أنه يُنقي الجسد والروح، ويُعزز الصحة، ويُربي النفس على الصبر والتقوى.

فمن واجبنا اغتنام هذه الفرصة الثمينة، وجعل الصيام بوابة للتغيير والتطوير، لنستفيد من فوائده الجسدية والنفسية والروحية.

---

(1) [البقرة: 187]. (2) (رد المحتار على الدر المختار: 2/ 369-370، بتصرف). (3) (الفتاوى الهندية: 197/1). (4) (بدائع الصنائع: 75/2 بتصرف). (5) [البقرة: 183]. (6) [البقرة: 185]. (7) (صحيح البخاري: 8). (8) (بدائع الصنائع: 75/2). (9) (بدائع الصنائع: 75/2-76، بتصرف). (10) (البناية شرح الهداية: / 3/4 بتصرف). (11) (أعلام النبوة: 242/1). (12) [البقرة: 183]. (13) (تفسير ابن كثير: 1/ 497). (14) (الزهد الكبير للبيهقي: 965). (15) (صحيح البخاري: 1903). (16) (مراقي الفلاح: 233/1-234 بتصرف). (17) (درر الحكام شرح غرر الأحكام: 197/1 بتصرف). (18) (المرجع السابق). (19) (البحر الرائق شرح كنز الدقائق: 278/2، بتصرف). (20) (بدائع الصنائع: 94/2 بتصرف). (21) (رد المحتار على الدر المختار: 2/ 440 بتصرف). (22) (البحر الرائق شرح كنز الدقائق: 277/2 بتصرف). (23) (المرجع السابق). (24) (المرجع السابق). (25) (المرجع السابق). (26) (إحياء علوم الدين: 234/1). (27) (إحياء علوم الدين: 3/84-88 بتصرف).

https://www.arabicdawateislami.net/

أم حيان العطارية

اليوم العالمي للمرأة

تاريخنا الإسلامي قام على التشريع الإلهي الذي رفع قدر الإنسان مهما كان جنسه، فإذا رجعنا بذاكرتنا لنؤرخ بداية احتفال العالم بـ "يوم المرأة العالمي" لرأينا أنه في عام 1908 م خرج ما يقارب خمس عشرة امرأة في إحدى البلاد لتطالب الحكومة آنذاك بتقليل عدد ساعات العمل ورفع الأجور والحقّ في التصويت عند الانتخابات، وهذا يعني أنهن حُرمنَ من ذلك كله حتى جعلت لهنّ الحكومة يومًا تحتفل به النساء لترى أنها مساوية للرجل في كل حقوقه وواجباته.

خرجت المرأة لتنال العدالة في الحقوق والواجبات التي ظلمت فيها وحرمت منها، وهذا قبل قرن تقريبًا فقد كان يسود الغرب الظلم والانتهاكات ضد المرأة، لنرى نحن المسلمات، كيف أن الله تعالى أعطانا حقوقنا كاملة،

ووصى بنا أشرف الخلق رسول الله ﷺ عندما قال

استوصوا بالنساء خيرًا[1]

كفي بنا من نعمة عظيمة أن يوصي أكرم الخلق بنا!!

فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ونحن معشر النساء في ظل الإسلام الذي لم يظلم أحدًا أيًا كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً، مسلمًا كان أو غير مسلم. المرأة عبر التاريخ لم ينصفها إلا الإسلام ولم يُعلِ شأنها ومكانتها إلا الله تعالى في قوله:

﴿ولهن مثل الذى عليهن﴾[2]

وقول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.[3]

المرأة المسلمة لا تلتفت إلى هذا اليوم الذي لم ينصف فيه النساء بل ظلمَهن فأوجب عليهن النفقة على أنفسهن عند بلوغ سنٍ محددة، وأيّ ظلم هذا! فالمرأة تحمل وتولد وتمر بتعب نفسي وجسدي ومع ذلك الغرب يجبرها على العمل ومناصفة النفقات بينها وبين الرجل، في حين أن الإسلام أوجب نفقتها على أبيها إن كانت بنتًا، وإذا مات الأب أوجبت نفقتها على وليها، وعلى زوجها بعد الزواج، وهذا الإكرام لا يريد أعداء الإسلام أن ينظروا إليه، لأنه جانب مشرق من الدين العظيم، بل أوقدوا الفتنة في المجتمعات الإسلامية لترى المرأة الشرقية أن هذا مجرد وصاية عليها، وأنها تريد التحرّر منه.

فالجهل عند البعض والإعلام المؤثر أيضًا جعل من لم يفهم الإسلام بشكل جيد أو يعرف مقاصده، كيف أعلى شأن المرأة، وجعلها تشارك في تفاصيل كل شيء بالمجتمع حتى في السياسة والحرب، ولكن بإرادتها، لم يلزمها بشيء، هذا هو الجمال الحقيقي في الشريعة الإسلامية.

إذا رجعنا إلى عهد النبي ﷺ وجدنا أم عمارة نسيبة بن كعب رضي الله عنها تحارب وتدافع عن النبي ﷺ والرسول يمدحها لما رأى من شجاعتها آنذاك، فهناك نساء أعظم وأشجع من الرجال ولكن المرأة ليست في حلبة صراع مع الرجل أبدًا، لها ما لها وعليها ماعليها.[4]

https://www.arabicdawateislami.net/

وعندما أقبلت امرأة من الأنصار وهي أسماء الأنصارية رضي الله عنها وقالت لرسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات..... وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم وربّينا لكم أولادكم، أفلا نشارككم في الأجر يا رسول الله!؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال هل سمعتم مقالة امرأة قطّ أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه. فقالوا يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فقال لها النبي ﷺ: انصرفي أيتها المرأة! وأعْلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعُّل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك كله، فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارًا.(5)

مدح النبي ﷺ للمرأة سؤالها ولفت انتباه الرجال إلى حسن عقلها، وهذا تعظيم لشأن المرأة في الإسلام وأخبر أن الإسلام لم يلزمها بالجهاد ولم يجبرها بالعمل، لكنه بالمقابل أيضاً لم يمنعها، فمن أرادت وكان لديها القدرة الجسدية والفكرية شجّعها وأعطاها حقّها.

القرآن الكريم مدح الملكة بلقيس الحاكمة لدولة سبأ التي قالت حين جاءها كتاب النبي سليمان عليه السلام: ﴿ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون﴾.(6)

مبدأ الشورى التي اعتمدته في مملكتها أثنى عليها القرآن في آيات تتلى إلى آخر الزمان، فلم ينتقدها القرآن ولم يقلل من شأنها لمجرد أنها امرأة بل أثنى على فكرها فقد أسلمت وصارت تحت حكم سيدنا سليمان عليه السلام، ومدح القرآن لها فيه دلالة تلهم النساء على مر الزمان للمشاركة في الأمور العامة للدولة على حسب علمها وعملها وضمن الشروط والأحكام الشرعية من الحجاب والحشمة والأدب.

أما في عهد الخلفاء الراشدين فكانت المرأة لها حضور فعّال ففي زمن الخليفة عمر رضي الله عنه وقفت امرأة أثناء خطبته حين أمر بتقليل المهور وقالت له: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدُقاتهن على أربعمائة درهم قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال: وأين ذلك فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً﴾(7)

فقال عمر رضي الله عنه: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدُقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب.(8) قال الإمام ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية: هذا حديث جيّد الإسناد.

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب القوي الشديد العادل لم يكن يوما ما ضد المرأة، فقد ذكر لنا التاريخ أنه كان يقدّم الشفّاء القرشية في الرأي ويفضّلها، وولّاها أمر السوق، فقد كانت متميزة في عصرها بعقلها وعلمها.

يوجد كتاب اسمه: "أخبار الواقدات من النساء على معاوية" للعباس الضبي، وهذا الكتيب يبين لنا مشاركة المرأة القوية في السياسة والحروب وبكل تفاصيل الحياة.

فمن الجهل إن ثار الغرب يومًا وطلب من الحكومات رفع الظلم عن المرأة أن نقلده تقليدًا أعمى، فنحن منذ فجر الإسلام وحقوقنا محفوظة مصانة، والنبي ﷺ عندما دخل على أمّ سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية وأشارت عليه برأيها أخذ به ولم يقلل من شأن هذا الرأي الصائب.(9)

وفي قبول النبي ﷺ لشورة زوجته أم سلمة تكريمٌ للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أن الإسلام لم يعطها حقّها وتجاهل وجودها.

نعم إن الغرب لم يعط ولن يعطي المرأة حقها كما أعطاها الله عزوجل، لقد جعلها إسلامنا وديننا مَلَكَةً في بيتها وحتى في عملها، ولم يسمح لأحد أن يلمسها إلا محارمها، والغرب لم تعجبهم هذه القيم فأعطوها حقوقًا تسهل الوصول إليها، لا إلى مطالبها وحقوقها، فأضاعت المرأة نفسها وأسرتها وضاع المجتمع؛ لأن الأساس في بناء المجتمعات إنما هي الأسرة، فأبعدوا المرأة عن فكرة تأسيس الأسرة والأولاد، وألهوها في البحث عن الوظيفة، والمال، والمتع، واللذة التي يريدونها هم منها، وهكذا ضاعت فكرة الزواج والأولاد وانتشرت المباحات والمثلية في هذه المجتمعات التي سيثبت التاريخ مهما تطورت أنها دمار ووبال وأنهم مهما زيّنوها فهي إلى زوال قريب.

فنحمد الله تعالى على نعمة الإسلام وكفى به من نعمة!! وكفى بها من نعمة!.

---

(1) (صحيح مسلم: 1468). (2) [البقرة: 228]. (3) [الحجرات: 13]. (4) (الاستيعاب: 502/4) (حلية الأولياء: 77/2). (5) (شعب الإيمان: 177/11، (8369)، ملخصًا) (6) [النمل: 32]. (7) [النساء: 20].

(8) (مسند الفاروق لابن كثير: 573/2)

https://www.arabicdawateislami.net/

محمد جنيد القادري
عضو قسم المحتوى والنصوص

يعتبر مَركز الدّعوة الإسلاميّة مؤسسة دعويةٌ عالميّة، يبذُل قُصارى جهوده في العمل على إصلاح الأمّة ونشر التّعاليم الإسلاميّة الصحيحة بين أوساط المجتمع منذُ تأسيسه إلى يومنا هذا، ولأجل إنجاح هدفه العظيم: "إصلاح الفرد والمجتمع" يعزم على العمل في جميع مجالات الحياة، ولذلك أنشأ حتى الآن أكثر من ثمانين قسمًا رئيسيًا، يشتمل كل قسم منها على عدد من الأقسام الفرعية، وهذا يدل على أن المركز يعمل في العديد من المجالات العلمية والتعليمية والتربوية والإصلاحية والتقنية والاجتماعية، ومن تلك الأقسام قسم للبحوث الإسلامية والذي يُعرَف باسم:

"المدينة العلمية للبُحوث والدراسات الإسلاميَّة".

تم إنشاء هذا القسم عام 1422 هجريا الموافق لعام2001 ميلاديا في مدينة كراتشي بباكستان، ويحتوي الآن على قاعة كبيرة ومكتبةٍ ضخمة تضم مجموعة متنوعة من الكتب والتراث العلمي فيها المئات من العناوين العلمية والفقهية والثقافية والتربوية، يستفيد منها العلماء والدعاة والباحثون والمدرسون والطلاب.

بشارة أهل الكتب بنبوة خاتم النبيين ﷺ:

يهتم مؤسس المركز الدّاعية الإسلامي العارف بالله الشيخ المربي محمد إلياس العطار القادري حفظه اللهُ تعالى بهذا القسم اهتماما خاصًا، حيث أنه مؤلِّفٌ ممتازٌ ومحقِّقٌ كبيرٌ وأديب بليغ وشاعرٌ رفيع في المديح النبوي الشريف، ومناقب الأولياء والصالحين، كما تتصف مؤلفاتُه بالمنهجية العلمية، وترتَقي لمرتبة عالية من حيث العلم والأدب، ففيها درَرٌ ثمينةٌ للباحثين، ولها مساهمة كبيرةٌ في جميع ميادين الحياة وتنمية المجتمعات وتحقيق الإنجازات، وقد صدر له حتى الآن 320 ما بين كتاب ورسالة، وبعضُ كتبه طُبعت بكمّيّات كبيرة في فترات قصيرة نتيجة لقبولها بين الناس والطلبِ المتزايد عليها، ولذلك فإن الشيخ يهتمُ بقسم البحوث الإسلاميّة اهتمامًا بالغًا من خلال تقديم الخبرات والتوجيهات.

إنجازات مركز البحوث الإسلامية:

بسبب التركيز الخاص من فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى على هذا القسم ونتيجة للالتزام بمنهجه فقد اتّسعت أعمالُه بحمد الله تعالى، وكان منها:

- إنشاءُ فرع جديد له في الآونة الأخيرة في مدينة فيصل آباد بباكستان.
- تزايد عدد الموظّفين الذين يعملون في مجال البُحوث والتّحقيق والتّأليف والتخريج والتّراجم، حيث وصل طاقمه إلى 138 شخصًا في كلا الفرعين.
- انبثق عن مركز البحوث 30 قسمًا حتى عام 2024 للميلاد.
- تزايد منشوراته من الكتب والأبحاث والمجلات والرسائل، وقاربت الألف، ماعدا مشاريع التأليف التي لا تزال قيد الإنجاز.
- القبول العام بين الأوساط العلمية وعامة الناس، وهو ما يتجلى في بيع ملايين النسخ الورقية من الكتب والرسائل، إضافة لذلك فإن عدد مرات تحميل الكتب الإلكترونية عبر الموقع الرسمي للمركز قد تجاوز حاجز الملايين أيضا.

https://www.arabicdawateislami.net/

إنجازات مركز البحوث الإسلامية:

- توفيرُ منصّة البحثِ والتّأليف والترجمة للعلماءِ والباحثين الموهوبين.
- تسهيل الكتب العربية من خلال شرحها بأسلوب سهل، وإضافة حواشي توضيحية تناسب جميع المستويات.
- نشرُ الكتبِ والقواميس ونحوها التي لا يمكن الاستغناءُ عنها للمؤلّفين والباحثين والطّلبة.
- تقديمُ محتوى ديني ومقالاتٍ مَوثوقة إلى الدُعاة والخطباءِ ومن لديهم شغفٌ بالأعمال الدّعويّة ليتمكّنوا من نشر تعاليم الإسلام الصحيحة من خلالِ أقوالهم وجُهودِهم الفردية.
- تأليفُ الكتبِ والمجلات التي من شأنها غرسُ حقيقةِ الإسلام في قلوب جيلِ الشباب وعُقولهم لكي لا يتأثروا بالأيديولوجيات القديمةِ والحديثةِ ولا التيّارات المعاصرة الزائفة، ولئلا يَصرفَهم أحدٌ عن الصراط السوي والسليم، وليتمكنوا من المحافظة على دينهم وهويتهم الإسلامية.

الأقسام البارزة لمركز البحوث الإسلامية ووحداتُ العمل:

يتضمّن مركز البحوث ثلاثَ وحدات، وتحت كل وحدةٍ أقسام فرعية عديدة.

الوحدة الأولى:

التّأليفُ والبحثُ العلمي، وتتضمن ثلاثين قسمًا، نذكر بعضا منها:

1 قسمُ القرآن الكريم:

يعمل على نشر التعاليم القرآنية بطريقة موثوقة ومبسّطة، ومن بين المشاريع التي اكتملت حتى الآن:

1- صراط الجنان في تفسير القرآن (10 مجلدات، باللغة الأردية)
2- معرفةُ القرآن في ترجمة القرآن (6 مجلدات، باللغة الأردية)
3- حاشية أنوار الحرمين على تفسير الجلالين (3 مجلدات، باللغة العربية)
4- تفسير تعليم القرآن (مجلدان، باللغة الأردية)
5- حاشية إفهام القرآن (مجلد، باللغة الأردية)

2 قسمُ الحديث:

يعمل على موضوعات تتعلق بالحديث وعلوم الحديث، ومن المشاريع التي عمل عليها:

1- شرح مختصر صحيح البخاري (قيد الإنجاز)
2- شرح رياض الصالحين (9 مجلدات، باللغة الأردية)
3- مسند الإمام الأعظم (مجلد، باللغة العربية)
4- شرح معاني الآثار مع حاشيته الجديدة مباني الأبرار (مجلدان، باللغة العربية)
5- الأربعين النووية في الأحاديث النبوية (باللغة العربية)

3 قسمُ الفقه الإسلامي:

يعمل على نشر الفقه وأحكام الشريعة للناس بطريقة موثوقة وسهلة على المذهبين الحنفي والشافعي.

4 قسمُ السيرة النبوية:

يعمل على نشر جوانب مهمة من سيرة النبي ﷺ وأيامه ومناقبه ومغازيه بطريقة مناسبة للعصر.

5 قسمُ الصحابة وأهل البيت:

يركّز على نشر سيرة ومناقب الصّحابة وأهلِ بيت رسول الله ﷺ.

6 قسمُ الصّحابياتِ والصّالحات:

يعمل على توفير المواد العلميّة والإصلاحية للأخوات، ونشر سيرةِ أمهاتِ المؤمنين والصّحابيات والتّابعيات والصّالحاتِ بأسلوب يتوافقُ مع متطلّبات العصر الحالي.

7 قسم الأولياء والعلماء والصالحين:

يعمل على إظهار سيرة الأولياء والعلماء والصالحين وقصص حياتهم ليعرفها الناس، وذلك على شكلِ كتبٍ ومجلات.

8 قسم التّرجمة:

يهتم بترجمة الكتب الدّعويّة ــ التي تركز على إصلاح الأعمال والتّرغيب والتّرهيب ــ إلى لغاتٍ عالميةٍ حيّة وفق مقتضيات العصر الحديث.

9 قسمُ التّخريج والتّوثيق:

يعتني بتخريج الكتبِ الهامّة وتوثيقِ نصوصها ودراستها حسب معاييرَ بحثيّةٍ حديثةٍ.

https://www.arabicdawateislami.net/

10 قسمُ الكتبِ الدِّراسية والمقرَّرات:

يعمل على تسهيل الكتبِ الدِّراسية وحلّ المعضلاتِ والمتون الصعبةِ والمعقّدة وإظهار الكنوزِ والدقائق وكشف الغوامض على شكل شروح وتعليقات وحواشٍ مفيدة.

11 قسمُ كتبِ الدَّعوة والإصلاحِ والتربية:

يقوم على دعوة الناس إلى الأعمال الصالحة وتزكية النفس والتربية بتقديم مُؤلّفات ورسائلَ نافعة.

12 قسمُ الرسالة الأسبوعية:

يَهتمُ بإعداد الكُتَيبات والرسائل الأسبوعيةِ القصيرةِ التي تتحدث عن مواضيع متنوعة، ومفيدة لعامة الناس.

13 قسمُ المحاضرات والخُطَب:

يعمل على تزويد الدُعاة والخطباء بمحاضراتٍ وخطب مكتوبة وموثوقة تتماشى مع الواقع والعصْر، إضافة لتدريب الخطباء وتطوير مهاراتهم ليستفيد الناس منهم، وقد أصدر القسم أكثر من سبع مئة خطبة ومحاضرة حتى الآن.

14 قسمُ الاعتناءِ بمُؤلَّفات الإمام أحمد رضا خان الحنفي رحمة الله عليه:

يعمل على نشر مؤلفات الإمام أحمد رضا رحمه الله تعالى للقُرّاء وطباعتها وترجمتها وتحقيقها، بشكل تمكّن الباحث والقارئ من الاستفادة منها، ومن المشاريع التي أنجزها: كتاب "جدُ الممتار على رد المحتار" في سبع مجلدات.

15 قسمُ الاعتناءِ بمُؤلَّفات الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله تعالى:

يهتم بعرض مؤلفات مؤسس المركز الشيخ محمد إلياس العطار القادري حفظه الله وكشف دوره ومنهجه الإصلاحي والتربوي للناس ليتمكنوا من الاستفادة من شخصيته وأعماله.

16 قسم المجلة الشَّهرية:

يعتني بإعداد مجلة: "فيضان مدينة" الشهرية لنشر أبحاث علمية ومثيرة للاهتمام في العلوم الإسلاميّة والاقتصادِ والتجارةِ والتاريخ والأدبِ الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة، وتَصدُر المجلة باللغة الأردية والهندية والغجراتية والإنجليزية والعربية وتم نشرُ 99 عددًا للمجلة الأردية و16 عددًا للمجلة العربية حتى الآن.

17 قسمُ المحتويات الإدارية:

ويهدف لتقديم الكتابات والمحتويات التي تساعد مسؤولي المَركز والأعضاء والموظفين في تطوير أعمالهم الدعوية وطريقةِ التّعامل مع الناس وحل مشاكلهم.

18 قسمُ أخبارِ المركز ونشاطاته الدعوية:

يقدّم المعلومات والإخبار عن إنجازات المركز وأنشطته العلميّة والدّعويّة في جميعِ أنحاء العالم من خلال موقعه على الإنترنت.

19 قسمُ الأطفال:

يعمل على إعداد القصص والمحتويات التربوية بأسلوب مميز ومتقن لتعزيز الوعي الديني وغرس القيم الأخلاقية في نفوس الأطفال.

20 قسمُ الكُتيبات والرسائل للمَركز:

يقوم بتحويل خطب رئيس مجلس الشورى الشيخ عمران العطاري إلى كتب ورسائل، مع التخريج والإضافة بما يتناسب مع الأسلوب الكتابي.

الوحدةُ الثانية:

الدعمُ الفني والمساعدةُ التشغيلية، وتتضمن ثلاثة أقسام.

1 قسمُ التَّصميم:

يهتمُ بتصميم غلاف الكتب والإخراجِ الفني للنشرِ والطباعة بشكل جذّاب.

2 قسمُ التواصل مع المؤلفين والباحثين:

يتولى مهمة توزيع إصدارات مركز البحوث الإسلامية على المؤلّفين والباحثين البارزين، إضافة إلى أخذِ انطباعاتهم حولها.

3 قسمُ المكتبة (library):

يتولى هذا القسم حفظ وتسجيل آلاف الكتب والمخطوطات القيمة بمكتبة مركز البحوث الإسلامية، ويسعى لاقتناء كتب جديدة وقديمة من مختلف أنحاء العالم، وتضم المكتبة حاليا 15000كتاباً من دور نشر وطنية ودولية، ويتم شهريًا طلب إصدارات جديدة من الدول العربية حسب الحاجة.

https://www.arabicdawateislami.net/

الوحدة الثالثة:

الأمورُ الإدارية، وتتضمّن أربعة أقسام.

1 قسمُ الكتابة والمسحِ الضوئي:

يُعنى بتحويل الفيديوهات والأصوات إلى نصوص مكتوبة وتنضيدها، إضافة لكتابة الاقتباسات المختارة من الكتب.

2 قسمُ صيانة الحاسبات والأجهزة المكتبية:

ويتولى هذا القسم صيانة الحواسيب، والشبكات، والأجهزة المكتبية وملحقاتها مثل الطابعات وأجهزة المسح الضوئي.

3 قسم إدارة الموظفين:

يعتني بتنظيف المكاتب والقاعات وتوفير المرافق الأساسية.

4 قسمُ إدارةِ الأداء الوظيفي:

يُتابع ويُوثّق أداء الموظفين يوميًا وشهريًا وسنويًا في السجلات.

إعداد الأبحاث والتأليف في مركز البحوث الإسلامية:

تمر عملية إعداد الأبحاث والتأليف بخمس مراحل رئيسية:

1 مرحلة البحث والتحقيق:

تتضمن التخطيط، والتحقق من العنوان، وإعداد خطة البحث، وجمع المواد من مصادر موثوقة كالكتب الإلكترونية والمخطوطات القديمة.

2 مرحلة الكتابة والتأليف:

تشمل تقسيم المحتوى بشكل منطقي وعلمي إلى أبواب وفصول ونحوها، وإضافة الآيات والأحاديث مع التفسير والشرح وذكر سبب الاستشهاد، وتحسين النصوص من خلال الصياغة والحذف والإضافة.

3 مرحلة التوثيق والتسهيل:

تتضمن عزو الآيات وتخريج الأحاديث، وتوثيق المصادر، وشرح المصطلحات والكلمات الغامضة، وإبراز الأحكام الفقهية ونقاط الفصاحة والبلاغة.

4 مرحلة المراجعة:

تركز على التأكد من سلامة اللغة والأسلوب، وتوافق المحتوى مع سياسة المركز، وضمان خلوه من الأخطاء.

5 المرحلة النهائية:

تشمل تدقيق الفهارس والمراجع، والإخراج الفني للكتاب، وتصميمه بشكل نهائي.

المشاريع المستقبلية لمركز البحوث الإسلامية:

إطلاق دورات تدريبية:

يهدف المركز إلى تقديم دورات متخصصة في البحث العلمي والتأليف وفق منهج علمي حديث يلبي احتياجات العلماء والطلاب الراغبين في تعلم هذا الفن.

تعزيز التواصل:

يسعى المركز لتقوية الصلات مع المؤلفين والباحثين ودور النشر الدولية للاستفادة من خبراتهم والمشاركة في الأعمال العلمية.

إقامة مسابقات في البحث والتأليف:

يرغب المركز بإقامة مسابقات على المستويين الوطني والدولي لفتح مساحة جديدة للإبداع، وإتاحة الفرصة للمبتدئين لإظهار أعمالهم، وتحفيز الناضجين على تطوير منشوراتهم.

تحسين جودة المحتوى ونشره عالميًا:

يخطط المركز لنشر إصداراته عالميًا بين الشخصيات المؤثرة والمؤسسات الكبرى للحصول على ملاحظاتهم واقتراحاتهم لتحسين المحتوى ونشر مزايا الكتب عبر وسائل الإعلام المختلفة.

إطلاق خدمة مراقبة الجودة:

يعتزم المركز إنشاء قسم خاص لمتابعة جودة الكتب المنشورة عالميًا والكشف عن الكتب غير الموثوقة لتوعية المجتمع علميًا.

أسأل الله تعالى التوفيقَ والمزيد من التقدُّم والنّجاح لهذا المركز المبارك، وأن يجعله منارةً لنشر العلم والمعرفة في جميع أنحاء العالم، آمين، بجاه خاتم النبيين ﷺ.

https://www.arabicdawateislami.net/

فهد محمد العطاري
عضو قسم المحتوى والنصوص

ماهو مفهوم الإنسانية؟

تعتبر الإنسانية مفهومًا واسعًا يحمل في طياته معان عديدة يتعلق بالقيم والمبادئ التي تتعلق بكينونة الإنسان، فالإنسانية تتعلق بسلوكه وأخلاقه تجاه الآخرين، وتشمل التفاعل الإيجابي بين الأفراد والمجتمعات.

والإنسانية في الإسلام جزء من التعاليم الدينية، حيث يدعو إلى مساعدة الآخرين وتقديم الدعم للمحتاجين.

في هذه المقالة سنتناول مفهوم الإنسانية بشكل شامل، وأهمية ذلك في الإسلام، ودور الأفراد في مساعدة الآخرين، إضافة إلى تقديم دروس مستفادة من التجارب الإنسانية المعاصرة، والتحذير من ظلم الآخرين.

مفهوم الإنسانية: الإنسانية هي مفهوم شامل يعبر عن الصفات والخصائص التي تجمع جميع أبناء الجنس البشري، حيث تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية والعرقية، وتُعرف بأنها عاطفة سامية تدعو إلى التعاطف والتفاهم بين الأفراد، حيث كرّم الله تعالى الإنسان وأعطاه مكانة خاصة فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِیْۤ اٰدَمَ وَ حَمَلْنٰهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنٰهُمْ مِّنَ الطَّیِّبٰتِ وَ فَضَّلْنٰهُمْ عَلٰى كَثِیْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِیْلًا﴾

أهمية الإنسانية: تعتبر الإنسانية من القيم الأساسية التي تميز المجتمعات المتحضرة، حيث تعكس احترام الإنسان وكرامته، وذلك من خلال:

1- الأمن والسلامة
2- المساواة
3- الإخاء
4- العزة
5- عدم التمييز (العنصرية)
6- العدالة

وفي الإسلام، تُعطى الإنسانية مكانة رفيعة، إذ يُعتبر كل إنسان مخلوقًا كريمًا، مما يفرض على الأفراد والمجتمعات واجبًا تجاه بعضهم البعض، وهذا الاحترام المتبادل يعزز من التماسك الاجتماعي ويُسهم في بناء مجتمع أكثر عدلًا وتسامحًا.

وتتجلى أهمية الإنسانية في قدرتها على تعزيز قيم التعاون والتضامن بين الأفراد، مما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة، عندما يتبنى الأفراد قيم الإنسانية، فإنهم يصبحون أكثر استعدادًا لمساعدة الآخرين، مما يؤدّي إلى تحسين الظروف المعيشية للجميع..

علاوة على ذلك، تؤدي الإنسانية دورًا محوريًا في مواجهة التحديات العالمية والكوارث التي تحصل بقدرة الله، الظاهرة بآثارها على الطبيعة، يمكن للمجتمعات أن تتعاون بشكل أفضل لمواجهة هذه المصاعب والأزمات، من خلال تعزيز القيم الإنسانية، مما يؤدّي إلى تحسين نوعية الحياة للجميع، بَيْد أن العمل الإنساني لا يقتصر فقط على تقديم المساعدات، بل يشمل أيضًا تعزيز الوعي بحقوق الإنسان وضرورة احترام هذه الحقوق وأدائها له.

صور من المعاناة تعكس معاناة الكثيرين حول العالم حجم الظلم والطغيان الذي قد يتعرض له الإنسان، حيث تُنتهك حقوقه الأساسية في العيش بكرامة، والحرية، والأمان.

وتؤدي النزاعات المستمرة إلى نزوح السكان من منازلهم التي تتعرض للتدمير، مما يجعلهم يواجهون فقدان الاستقرار والأمان.

https://www.arabicdawateislami.net/

وقد أوصى الإسلام بحفظ كرامة الإنسان وصون حقوقه، إلا أن الكثيرين يواجهون انتهاكات جسيمة تشمل التعذيب، وسوء المعاملة، والتهجير.

المآسي المتفاقمة بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

- تدهور الاقتصاد يؤدي إلى تجويع الآلاف وانعدام فرص التعليم.
- ارتفاع معدلات البطالة يحرم الناس من أبسط مقومات الحياة.
- النزاعات تسبب خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، مما يزيد من معاناة الأبرياء.

وإليكم بعض الأمثلة:

1. الانتهاكات الجسدية والمعنوية: مثل التعذيب وسوء المعاملة والظلم.
2. انعدام الأمن والحرية: حجب الأفراد عن حقهم في العيش بسلام وأمان.
3. انتهاك الكرامة الإنسانية: التعدّي على حقوق وحرية السكان.
4. التجويع والإفقار: تدهور الاقتصاد المالي أدى إلى حرمان الكثيرين من الطعام والموارد الأساسية.
5. الحرمان من التعليم: انعدام الفرص التعليمية بسبب الأوضاع المزرية.
6. فقدان الأرواح والممتلكات: كنتيجة مباشرة للنزاعات المستمرة.

ما هو دور المنظمات في مساعدة المتضررين؟

رغم المعاناة المستمرة، لا تزال شعلة الإنسانية حية في قلوب الكثيرين، فقد أظهرت الجهود الدولية والمحلية قدرة الإنسان على التضامن والتكاتف لمواجهة أصعب الظروف.

وفي هذا السياق قامت منظمات إنسانية وجهود فردية ببذل المساعدة الإغاثية والطبية، وهذه الجهود تعكس قوة الإنسانية وقدرتها على تخفيف معاناة الآخرين.

قصص ملهمة!

تتجلى الإنسانية في مختلف أنحاء العالم من خلال العديد من التجارب الملهمة التي تعكس قوة الروح البشرية في مواجهة التحديات.

- على الرغم من الظروف الصعبة، هناك أفراد يكرّسون وقتهم لتقديم المساعدة للآخرين، مثل الشباب الذين يتطوعون لتوزيع الطعام والماء على المتضررين.
- الأطباء والممرضون الذين يعملون تحت ضغط كبير في المناطق المتأثرة بالنزاعات يقدمون الرعاية الصحية رغم نقص الموارد.
- الناس يبدعون مشاريع صغيرة لتوفير فرص عمل للآخرين، مما يساعد في تخفيف معاناة البطالة والفقر.

هذه المبادرات تعكس الإبداع والقدرة على التكيف مع الظروف الصعبة، وتظهر كيف يمكن للأفراد أن يكونوا مصدر إلهام من خلال العمل الجاد والمثابرة.

قيم التضامن والمساعدة

تعتبر قيم التضامن والمساعدة من الأسس الجوهرية التي تميز الإنسان في الإسلام، حيث تدعو التعاليم الإسلامية إلى التعاون والتكافل بين الأفراد والمجتمعات، فالتضامن يعني العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف الإنسانية، ويعكس روح الأخوة والمشاركة في الأوقات الصعبة، وتجسد هذه القيم بشكل واضح من خلال تلاحم المجتمع في مواجهة التحديات، حيث يتعاون الأفراد لتقديم الدعم والمساعدة للمتضررين من الأزمات.

تتجلى قيم التضامن لمساعدة المتضررين حول العالم من خلال المبادرات المجتمعية التي تهدف إلى تقديم المساعدة لهم، سواء كانت هذه المساعدات مادية أو معنوية، فالأهالي يتشاركون في تقديم الطعام والملابس، ويعملون على توفير الرعاية الصحية للجرحى والمحتاجين. هذه الروح الجماعية تعكس التزام المجتمع بالقيم الإنسانية، وتظهر كيف يمكن للتضامن أن يكون قوة دافعة للتغيير الإيجابي حتى في أصعب الظروف. علاوة على ذلك، فإن قيم التضامن والمساعدة تعزز من قدرة المجتمعات على الصمود في وجه الأزمات، فكلما زادت درجة التعاون بين الأفراد، زادت فرص النجاح في تجاوز التحديات.

لذا نجد أن التضامن ليس مجرد شعارات، بل هو ممارسة تعكس التزام الناس بمساعدة بعضهم البعض، مما يساهم في بناء مجتمع قوي ومتماسك. هذه القيم هي دعوة عالمية للتعاون من أجل تحقيق العدالة والسلام في جميع أنحاء العالم.

ختامًا!

أيها القارئ العزيز! إن الإنسانية تظل القاعدة الأساسية التي تُبنى عليها المجتمعات السوية التي تحترم حقوق الإنسان، وتعمل على تحقيق الخير العام.ولكي نبني مجتمعًا إنسانيًا متطورًا، يجب علينا تعزيز قيم التعاطف، والرحمة، والعدل، والمساواة، والكفاح ضد الظلم بكل أشكاله، وذلك يتطلب منا جميعًا، كأفراد ومؤسسات، أن نكون أكثر وعياً بحقوق الآخرين، وأن نسعى جاهدين لمساعدتهم، ودعمهم، وحمايتهم من أي ظلم أو معاناة. إن دور كل فرد منا في تعزيز قيم الإنسانية لا يستهان به، فكل عمل خيري، مهما كان صغيرًا، يُسهم في بناء عالم أفضل قائم على التعاون والتراحم، عالم يسوده السلام والعدل والرخاء للجميع، فلنعمل جميعًا، بكل ما أوتينا من قوة، ضمن عالم يُجسّد قيم الإنسانية السامية.

---

(1) [سورة الإسراء:70]

https://www.arabicdawateislami.net/

محمد سجاد أنجم القادري

حقوق الجار في الإسلام

إن الجار في الإسلام ليس مجرد فرد يسكن بجانبك أو يجاورك في العمل أو الطريق، بل هو جزء مهم من نسيج المجتمع المسلم الذي يقوم على التراحم والمساعدة المتبادلة، وحقوق الجار في الإسلام ليست مقتصرة على مبدأ "أن تكون لطيفًا معه"، بل هي منظومة متكاملة من الواجبات التي تشمل الإحسان إليه، وكفُّ الأذى عنه، وتقديم العون له، والتعاون معه في الشدائد والمناسبات، ولقد بيّن لنا رسول الله ﷺ من خلال وصاياه المستمرة بشأن الجار، وحقوق ذلك لا تقتصر على الجار القريب، بل تشمل البعيد، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، مما يعكس شمولية الإسلام واهتمامه بالإنسانية جمعاء.

سنعرض تعاليم الإسلام بشأن حقوق الجار، من خلال استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لنتعرف كيف يمكننا أن نُحيي هذه القيم في حياتنا اليومية، لنجعل من مجتمعاتنا واحة من الرحمة والإحسان.

دلالات كلمة "الجار":

الجارُ لغةً: هو لفظ ذو دلالات شتّى نذكرها فيما يلي:

- الجارُ: المُجاور في المسكن، وفي المثل: «قد يُؤْخَذُ الجارُ بذنب الجار».
- جمع: جيران وجيرة وجوار وأجوار.
- الجارُ: الشَّريك في العَقار أو التِّجارة، والجارُ المُجيرُ، والمستجير، والمُجار.[1]

قال الإمام الراغب الأصفهاني: الجار: من يقرب مسكنه منك، وهو من الأسماء المتضايفة، فإنّ الجار لا يكون جارًا لغيره إلا وذلك الغير جار له، كالأخ والصديق.

ولمّا استعظم حقّ الجار عقلاً وشرعًا عبّر عن كل من يعظم حقّه أو يستعظم حقّ غيره بالجار، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.[2][3]

الجيران في الإسلام:

الجيران في الإسلام هم كل من يسكن قرب الإنسان، سواء كانوا في نفس الحي أو الشارع، بل ويشمل الجار من يجاور الشخص في العمل أو التجارة، ويشمل الجار المسلم وغير المسلم، حيث أوجب الإسلام على المسلم أن يحسن إلى جيرانه بغض النظر عن ديانتهم.

مراتب الجار في الإسلام:

الإسلام جعل للجار مكانة رفيعة، وقسّم حقوقه إلى ثلاث مراتب:

جار له ثلاثة حقوق:

وهو الجار المسلم ذو الرحم. له حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة، مما يجعله أحق الناس بالإحسان والتفقد.

جار له حقان:

الجار المسلم غير القريب: له حق الإسلام وحق الجوار.

جار له حق واحد:

هو الجار غير المسلم الذي لا تربطه قرابة، له حق الجوار فقط، ومع ذلك، أمر الإسلام بالإحسان إليه وكف الأذى عنه، كما كان النبي ﷺ يحسن لجيرانه من غير المسلمين.

أهمية الجار في ضوء القرآن والسنة

لقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من النصوص التي تبرز أهمية وحقوق الجار، منها:

1. القرآن الكريم: يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهٖ شَيْـًٔا وَّبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَّبِذِى الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾.[4] هذه الآية تبرز الأهمية الكبيرة التي يجب أن يُوليها المسلم لجاره، سواء كان قريبًا أو بعيدًا.
2. السنة النبوية: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره".[5] وهذا الحديث الشريف يبين أن إكرام الجار هو من أخلاق المسلم.

https://www.arabicdawateislami.net/

حقوق الجار في الإسلام:

لقد حدّد الإسلام حقوقًا عديدة للجار، وأوصى بالالتزام بها لما لها من أثر في تعزيز التماسك المجتمعي ونشر المودة، والإسلام لم يقتصر على توصية المسلمين بحسن التعامل مع الجار، بل وضّح الحقوق التي يجب أن يُعطاها الجار، وإليكم بعض حقوقه الأساسية:

1. **رد السلام وإجابة الدعوة:** رد السلام وإجابة دعوة الجار من أبسط الحقوق التي تُشعره بالتقدير والاحترام، وهي حقوق عامة للمسلمين، لكنها تتأكد في حق الجيران لما لها من أثر في إشاعة روح الألفة والمودة.

2. **كف الأذى عن الجار:** يُعد الامتناع عن إيذاء الجار من أعظم الحقوق، قال النبي ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن"، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: "مَن لا يأمن جاره بوائقه".[6]

وفي قصة المرأة التي كانت تصلي الليل وتصوم النهار لكنها تؤذي جيرانها، قال النبي ﷺ: "لا خير فيها، هي في النار".[7]، وهذا تحذير شديد من إيذاء الجار.

3. **تحمل أذى الجار:** في الحياة اليومية، قد تحدث خلافات بسيطة بين الجيران نتيجة ظروف الحياة أو التعاملات اليومية، الإسلام يحث المسلم على التحلي بالصبر والتسامح، وعدم الدخول في نزاعات تافهة قد تؤدي إلى تفكك العلاقات بين الجيران، قال النبي ﷺ: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".[8] وهذا يوضح أهمية الصبر والتسامح في العلاقات مع الجيران.

من شيم الكرام وأصحاب النفوس العظيمة الصبر على أذى الجار، واحتساب ذلك عند الله، كما قال النبي ﷺ: "إن الله عز وجل يحب ثلاثة، ويبغض ثلاثة"، وذكر منهم: "رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت".[9]

ومن الأمثلة المشهورة عن الإمام أبي حنيفة، صبره على أذى جاره الذي كان يسيء إليه يوميًا، حتى أنه عندما سُجن شفع له عند القاضي وأخرجه، مما جعل الجار يندم ويتوب عن إيذائه.[10]

4. **تفقده وقضاء حوائجه:** تفقد أحوال الجيران وقضاء حوائجهم هي من صور الإحسان التي تُعزز العلاقات، قال النبي ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم"[11]، وكان أصحاب النبي ﷺ يتفقدون جيرانهم ويُهدون إليهم الهدايا.

5. **ستره وصيانة عرضه:** الجار بحكم القرب قد يطّلع على أمور خاصة بجاره، وهنا يتأكد واجب ستره وصيانة عرضه، قال النبي ﷺ: "من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة"[12].

6. **الإهداء إليه ومودته:** من وسائل توطيد العلاقة مع الجار التهادي، ولو بشيء بسيط، قال النبي ﷺ: "يا أبا ذر! إذا طبختَ مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك".[13] والهدية لها أثر عميق في القلوب، وهي وسيلة لنشر الحب وتقوية الروابط بين الجيران.

7. **تقديم المساعدة له عند الحاجة:** من أعظم حقوق الجار في الإسلام هو تقديم المساعدة له عند حاجته، سواء كانت هذه الحاجة مادية، مثل إقراض المال أو تقديم الطعام، أو كانت معنوية، مثل الوقوف معه في أوقات الشدة والمحن، النبي ﷺ كان يقول: "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه".[14] وهذا الحديث يحث المسلم على ألا ينسى جاره، بل يجب أن يتفقده دائمًا ويتأكد من حالته.

8. **مشاركة الجار في أفراحه وأتراحه:** من المستحب أن يشارك المسلم جاره في المناسبات السعيدة والمواقف الصعبة، حيث يُشعره بذلك أنه ليس وحده في مجتمعه، بل هناك من يقف بجانبه.

9. **التسامح مع الجار:** في الحياة اليومية، قد تحدث خلافات بسيطة بين الجيران نتيجة ظروف الحياة أو التعاملات اليومية، الإسلام يحث المسلم على التحلي بالصبر والتسامح، وعدم الدخول في نزاعات تافهة قد تؤدي إلى تفكك العلاقات بين الجيران، ولقد ثبت بأحاديث النبي ﷺ أهمية الصبر والتسامح في العلاقات مع الجيران.

10. **الإحسان في التعامل اليومي:** الإسلام يحث على حسن الخلق مع الجيران في كل المواقف اليومية، مثل: عدم إزعاج الجيران بالصوت العالي أو السلوكيات غير اللائقة، والمحافظة على نظافة المنطقة المشتركة بين الجيران، واحترام خصوصية الجيران وعدم التدخل في شؤونهم الشخصية.

11. **التبسم في وجه الجار والمعاملة الحسنة:** وهذا من أبسط حقوق الجار التي يمكن أن يُقدمها المسلم الابتسامة والمعاملة الحسنة، قال النبي ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة".[15] والجار أولى بهذه الابتسامة؛ لأن الابتسامة والمعاملة الحسنة تساهم في خلق بيئة إيجابية بين الجيران، وتجعل العلاقات بينهم أكثر قربًا ومودة.

12. **النصيحة والتوجيه بالمعروف:** الإسلام يوصي بأن يتبادل الجيران النصيحة والتوجيه بالمعروف، إن كان الجار بحاجة إلى نصيحة في أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية، فعلى المسلم أن يكون أول من يقدم له المشورة بطريقة لطيفة ومحترمة، النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم".[16] والجار هو من أقرب الناس الذين يحتاجون إلى هذا النوع من التوجيه.

الخلاصة: أن القرآن الكريم والسنة النبوية قدّما توجيهات واضحة في كيفية التعامل مع الجار، والإسلام لم يكتف بتقديم نصوص توجيهية حول حقوق الجار، بل قدّم أمثلة عملية من حياة النبي ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم ما يجعل هذه الحقوق جزءًا أساسيًا من حياة كل مسلم، فعندما يحترم الجيران حقوق بعضهم البعض ويحرصون على العيش بسلام، يساهم ذلك في تحقيق الأمن الاجتماعي على كافة المستويات.

---

(1) (المعجم الوسيط: 146). (2) [النساء: 36]. (3) (المفردات في غريب القرآن: 211) . (4) [النساء: 36]. (5) (صحيح البخاري: 6018). (6) (صحيح البخاري: 6016). (7) (المستدرك على الصحيحين: 7385). (8) (سنن الترمذي: 2507). (9) (مسند أبي داود الطيالسي: 470). (10) (وفيات الأعيان: 5/410) (11) (المعجم الكبير للطبراني: 751). (12) (صحيح البخاري: 2442). (13) (صحيح مسلم: 142). (14) (مسند أبي يعلى: 2699). (15) (سنن الترمذي: 1956). (16) (صحيح مسلم: 95).

https://www.arabicdawateislami.net/

محمد إلياس السكندري
عضو قسم المحتوى والنصوص

التاجر الناجح والمجاهد الباذل

يقول الله عز وجل:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1].

تلك القصص التي ساقها الله لنا في كتابه الكريم، من أنباء الرسل والأنبياء عليهم السلام وكذلك قصص الصالحين رحمة الله عليهم التي بين الله تعالى لنا في شتى الأماكن ليست مجرد سردٍ تاريخي، بل هي نورٌ يتسلل إلى القلوب، يعزّز فيها الإيمان، ويمنحها الصبر واليقين في مواجهة التحديات، كما سئل الإمام الجنيد رحمه الله: مَا للمريدين في مجاراة الحكايات؟ فَقَالَ: الحكايات جند من جنود الله تَعَالَى، يقوّى بهَا قلوب المريدين، فقيل لَهُ: فهل لَك فِي ذَلِكَ شاهد؟ فَقَالَ: نعم وتلا الآية السابقة[2].

قصصهم تُلهمنا التأسِّي بهم، تُظهر لنا أبهى صور الإنسانية حين تتصل بالله، وتُشعل فينا الإرادة لنكون أفضل عند الله وعند رسول الله ﷺ، واثقين أن الله معنا، وفي هذا المقال نسلّط الضوء على طرفٍ من سيرة أحد عظماء الإسلام، رجلٍ جمع بين الغنى والشكر، وبين القوة والزهد، وبين المهارة في التجارة والكرم في الإنفاق، إنه سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أحد العشرة المبشّرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، وركيزة من ركائز الدعوة المحمدية.

سيدنا عبد الرحمن بن عوف، الغنيُّ الشاكر، الذي وهبه الله مهارةً تجارية فريدة جعلته رمزًا للنجاح والثروة، لكنه لم يُسَخِّر تلك النعم إلا في طاعة الله وخدمة دينه.

كان كريمًا، متواضعًا، زاهدًا في الدنيا رغم ما ملك، رجلٌ عُرف بشجاعته وعفّته، واتّساع علمه، وورعه الذي جعله يستغني عن الناس تمامًا، ويُغني غيره بسخائه، ومِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِه رضي الله عنه: عَزْلُهُ نَفْسَهُ مِنَ الأَمْرِ وَقْتَ الشُّورَى وَاخْتِيَارُهُ لِلأُمَّةِ مَنْ أَشَارَ بِهِ أَهْلُ الحِلِّ وَالعَقْدِ [3].

ومن أعظم مناقبه أن النبي ﷺ صلّى خلفه في سفر، وتوفّى ﷺ وهو عنه راض[4].

اسمه ونسبه وسبب إسلامه:

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، وهو يلتقي مع النبي ﷺ في جده السادس "كلاب" وكذلك يلتقي مع النبي من قِبَل أمّه أيضًا.

وقد أسلم سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قديمًا، حيث يُعدّ أحد الثمانية الذين سبقوا في الإسلام، وأَحد الخمسة الذين أَسلموا على يد أَبي بكر رضي الله عنهم.

كان اسمه في الجاهلية "عبد عمرو"، وقيل عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ "عبد الرحمن"[5].

https://www.arabicdawateislami.net/

سبب إسلامه:

ومما يُروى في سبب إسلامه هو لقاؤه بالشاعر الحكيم "عسكلان بن عواكن"، الذي كان يبشر ببعثة النبي ﷺ، يقول عبد الرحمن: سافرت إلى اليمن قبل البعثة بعام، فنزلت على "عسكلان" وكان شيخًا طاعنًا في السن، ضعيف البصر والسمع، وكان كلما زرتُه يسألني عن مكة وأحوالها، وعن ظهور من يخالف دينهم.

وفي إحدى زياراتي له، شد عصابة على عينيه وقال لي: "يا أخا قريش! انتسب" فعرّفت بنفسي، فقال: "أبشّرك بخير من التجارة، فقد بعث الله في قومك نبيًا من بني هاشم، يدعو إلى الحق ويأمر بالمعروف، ويحارب الباطل. احمله مني هذه الأبيات:

أشهد بالله ذي المعالي ـــــ وفالق اللّيل والصّباح
إنّك في السّرّ من قريش ـــــ وابن المفدّى من الذّباح
أرسلت تدعو الى يقين ـــــ ترشد للحق والفلاح

ثم عدت إلى مكة فأخبرت أبا بكر، فقال لي: "هذا محمد بن عبد الله ﷺ قد بعثه الله رسولًا، فأته، فأتيته في بيت خديجة وأخبرته بالخبر، فقال: "أما إن أخا حمير من خواص المؤمنين، رب مؤمن بي ولم يرني ومصدق بي وما شهدني اولئك إخواني حقًا[6].

هجرة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عندما اشتد أذى قريش على المسلمين، وصارت تقف سدًا منيعًا أمام انطلاق الدعوة، تسد الطريق بكل ما أوتيت من قوة، أدرك الرسول ﷺ أن الرسالة لا يمكن أن تبقى محصورة في مكة، وتنتظرها أمم مظلومة وشعوب مستضعفة تمتد من فارس إلى الروم وأقطار الأرض ففكّر النبي ﷺ الحكيم في ضرورة الهجرة إلى بلد آخر فكانت هجرة الحبشة جزءًا من هذا المسعى، وبرز فيها عبد الرحمن بن عوف كواحد من وجوه المهاجرين، وقد كانوا خمسة عشر فردًا -أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ- فهاجروا إلى أرض الحبشة جميعًا [7].

ثم هاجر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة تاركًا وراءه دياره ووطنه، يخلع ذكريات الطفولة وصور الماضي، مع إخوانه المسلمين المهاجرين؛ لأنهم تعلموا من رسول الله ﷺ أن وطن المسلم ليس مجرد مكان الميلاد، بل هو الأرض التي يستطيع فيها أن يرفع لواء الحق، وينشر فيها كلمة ربه.

فاستقبلهم أهل المدينة بأروع صور الأخوة والإنسانية، لم ينظروا إليهم كغرباء ولا وصفوهم بـ"لاجئين"، بل فتحوا لهم أبواب بيوتهم واحتضنوهم بقلوب ملؤها الحب والإيثار، كانوا عونًا لهم، حتى أصبحت المدينة نموذجًا فريدًا لوحدة القلوب وتمازج الأرواح، وهناك صنع الإسلام أول مجتمع متماسك مبني على الإيمان والمودة.

المؤاخاة بين المسلمين:

في مشهد خالد يخلد روح الإسلام، يجسد الموقف بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع عظمة الأخلاق والإيثار وذلك بعد ما آخى النبي ﷺ بينهما فعرض سعد على أخيه المهاجر عبد الرحمن نصف ماله وإحدى زوجتيه، لكن عبد الرحمن، بكرامته وعزيمته، رفض قائلاً: "بارك الله لك في مالك وأهلك، دلني على السوق".

ذهب إلى السوق، وهو لا يملك إلا عزيمته وخبرته، فاشترى أقطًا وسمنًا، فجعل يبيع ويشتري حتى أغناه الله واجتمعت له ثروة، وصار تاجرًا ناجحًا[8].

وهذا الموقف يكشف لنا عن مدى حرص الصحابي على العمل وألا يكون عالة على غيره، رغم كونه في أمس الحاجة للدعم المالي؛ ولذلك بارك الله له في ماله، حتى تحدّث عن نفسه مرة مخبرًا بفضل الله عليه: فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً[9].

لم يمضِ وقت طويل حتى عاد إلى رسول الله ﷺ وعليه أثر الزعفران، فسأله النبي ﷺ: "مهيم؟" فقال: "تزوجت امرأة".

قال: "فما أصدقتها؟" أجاب: "وزن نواة من ذهب"، فقال النبي ﷺ: "أولِـم ولو بشاة"[10].

آية في الجود والكرم:

كان سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه نموذجًا فريدًا في السخاء والكرم، وآيةً مضيئة في البذل والعطاء، فقد سجلت صفحات التاريخ مواقفه المشهودة التي جسدت أسمى معاني الإيثار، فلقد تصدق في زمن النبي ﷺ بنصف ماله والبالغ أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفًا، وحمل على خمسمائة فرس وخمسمائة راحلة في سبيل الله[11].

ولم يكتفِ بذلك، بل باع أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار وفرّقها جميعًا على أهله من بني زهرة، وعلى أمهات المؤمنين، وعلى فقراء المسلمين[12].

وفي موقف يتجلّى فيه نبل النفس وعلو الهمة حين أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، فكان الرجل يُعطى منها ألف دينار وأوصى للبدريين، فوجدوا مائة، فأعطى كل واحد منهم أربعمائة دينار، فكان منهم عثمان، فأخذه، كما أوصى بألف فرس للمُجاهدين [13]. وكُل ذلك لِـما أعطاه الله -تعالى- من الغِنى والمال، فقد كان من أغنياء الصحابة الكِرام.

https://www.arabicdawateislami.net/

إنفاق عبد الرحمن بن عوف 700 راحلة:

في يوم هادئ، وبينما المدينة ساكنة، ظهر غبار كثيف يقترب شيئًا فشيئًا، فظنّه الناس عاصفة رملية، لكنْ سرعان ما انكشفت وراءه قافلة عظيمة تضم سبعمائة راحلة محمّلة بالأحمال، دخلت المدينة فأحدثت حركة وفرحًا عارمًا.

ولما بلغ الخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سألت مستغربة: "قافلة تحدث كل هذا الزخم؟" فقيل لها: "إنها لعبد الرحمن بن عوف"، فتذكرت قول النبي ﷺ: "رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا.

فأُخبر عبد الرحمن بذلك، فأسرع إلى سيدتنا عائشة رضي الله عنها وقال: "أشهدك أن هذه القافلة بكل ما فيها في سبيل الله"، ثم وزّعت أحمال القافلة على أهل المدينة وما حولها في مشهد مهيب من البرّ والعطاء، يجسد حياة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[14].

ولم تكن تلك نهاية عطاءاته، فقد أعتق ثلاثين ألف بيت[15]، فكان بذلك الملاذ والمعين لأهل المدينة المنورة، حتى إن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه قال عنه: "كان أهل المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف؛ ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي ديونهم، وثلث يصِلهم[16].

خوفه من الله تعالى:

ورغم ما أنفقه هذا الصحابي الجليل في سبيل الله، كان دائم الخوف من أثر ثرائه، فقد جيء له يومًا بطعام الإفطار وهو صائم، فلما رآه بكى وقال: استشهد مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بردة إن غطت رأسه بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدا رأسه، واستشهد حمزة وهو خير مني، ولم يُوجد له ما يُدفن فيه إلا بردة، ثم بُسطت لنا الدنيا، وأخشى أن تكون قد عُجلت لنا حسناتنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[17].

وفي يوم آخر، اجتمع مع أصحابه على طعام، فلما وضع الطعام بكى، وقال: مات رسول الله ﷺ وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير[18].

هكذا، ورغم ثرائه، لم ينسَ هذا الصحابي حقوق الفقراء، ولا حال النبي ﷺ وصحابته الكرام، فلم تشغله الدنيا عن الآخرة رضي الله عنه.

وفاته رضي الله عنه:

تُوفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة إحدى وثلاثين للهجرة، عن عمر يناهز خمسة وسبعين عامًا[19].

قال الواقدي رحمه الله تعالى: ولد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد الفيل بعشر سنين، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة[20].

وترك ثروة عظيمة:

ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس، وذهباً قُطع بالفؤوس حتى ملأت أيدي الرجال، أما نساؤه الأربع، فقد كان لكل واحدة منهن نصيب يقدّر بثمانين ألفًا[21].

ومهما تحدّثنا عن شخصية هذا الصحابي العظيم سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فلن نستطيع الإحاطة بكرمه وسعة عطائه وخدمته للمسلمين، أو بفيض أثره في تاريخ الإسلام؛ لقد كان نموذجًا للتوازن بين الدنيا والآخرة، بين النجاح العملي والتقوى القلبية، وفي حياته دروس خالدة تعلّمنا بأن المال وسيلةٌ لا غاية، وأن القوة في العبادة والورع أعظم من كل ملكٍ أو جاه.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يسير مع هذا النموذج الفذ، لنستقي من زهدِه وتواضعه، ومن تجارته ومن جوده وكرمه، ما يعيننا على مواجهة الحياة.

---

(1) [هود: 120]. (2) (الرسالة القشيرية: 2/ 354). (3) (سير أعلام النبلاء: 62/3). (4) (أسد الغابة: 3/ 475). (5) (سير أعلام النبلاء: 3/ 49-50 بتصرف). (6) (تاريخ دمشق لابن عساكر: 251/35- 252 بتصرف). (7) (البداية والنهاية لابن كثير: 84/3 بتصرف).(8) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: 2048). (9) (مسند الإمام أحمد: 13863). (10) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: 2048). (11) (سير أعلام النبلاء: 81/1). (12) (سير أعلام النبلاء: 85/1-86). (13)(تاريخ الإسلام للذهبي: 3/ 229 بتصرف). (14) (أخرجه الإمام أحمد في مسنده: 24842). (15) (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: 3/ 230). (16) (سير أعلام النبلاء: 88/1). (17) (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: 1275). (18) (الطبقات الكبرى لابن سعد: 1/ 309 بتصرف). (19) (أسد الغابة: 3/ 475). (20) (المعارف للدينوري: 236/1). (21) (أسد الغابة: 475/3 بتصرف).

https://www.arabicdawateislami.net/

لقراءة المجلات السابقة امسح الرمز:

المقر الرئيسي:

فيضان مدينة

بجوار شركه الاتصالات الباكستانة، شارع الجامعة،
كراتشي، باكستان

arabic@dawateislami.net

arabicdawateislami.net

Dawateislamiar +92 311 6336937

للاشتراك السنوي بمجلة

نفحات المدينة

للحجز تواصل معنا عبر ..... +92 311 7301781 +92 313 1139278

العدد الواحد
12 دولارًا
500 روبية باكستانية

الحجز السنوي مع الخصم
45 دولارًا
2،000 روبية باكستانية

(شاملًا رسوم التوصيل)

احجز الآن واستفد من العرض المميز!

978-969-722-783-9

01130299

https://www.arabicdawateislami.net/